

السنة الخامسة (ذى القعدة سنة ١٣٥٧ هـ - يناير سنة ١٩٣٦ م) العدد الثالث

صحيفة دار العلوم

نصرها «جماعة دار العلوم»
كل ثلاثة أشهر

رئيس التحرير

محمد علي مصطفى

المدير

محمد نجيب حيازة

المراسلات الخاصة بالتحرير ترسل باسم رئيس التحرير
بنادي دار العلوم ٧٧ شارع الملكة نازلي

الاشتراكات والحوالات المالية

ترسل باسم أمين الصندوق

السباعي بيومي

المدرس بدار العلوم

مكتب بريد الدواوين

الاشتراك السنوي

٢٠ قرشاً	في القطر المصري
٦ شلنات انجليزية	خارج القطر
٥ قروش	ثمان العدد

مطبعة العلوم شارع الخيلج بجنيه لافا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

إعداد معلم اللغة العربية

نشأت في هذا العام مشكلة ، استدعت نشاطا في جهات متعددة ، فاض
أحيانا بغير حساب ، وعطلت من أجلها الدراسة في بعض المعاهد العلمية العالية
أياما ، واستيقظت بسببها قنن بين صفوف الطلاب ، الذين تشملهم هذه
المشكلة ، ورأى كل فريق منهم أن يدفع عن حقه ، أو ما يزعمه حقه ، وتناول
كثير من المفكرين الكتابة في نواحي هذه المشكلة ، ونشروا آراءهم في الصحف
السيارة ، ولكن هؤلاء الذين تبرعوا بالكتابة لم يقترح أحد منهم حلا ، ولم
يعالج المشكلة في جرأة ورعاية للمصلحة العامة .

وقد تضمنت هذه المشكلة ثلاثة معاهد : دار العلوم ، وكلية الآداب من
جامعة فؤاد الأول ، وكلية اللغة العربية من الجامعة الأزهرية . فقد كان الغرض
الأول من إنشاء دار العلوم أن تكون حلقة الاتصال بين القديم والجديد ، وأن
تتولى تخريج المعلم الصالح الكفء الضليع المتأدب القدير على تدريس اللغة
العربية والدين في المعاهد المختلفة ، وقد حققت هذا الغرض سنين طوالا ، وما زالت
جادة في تحقيقه . ثم كانت كلية الآداب التي أنشئت لخلق نهضة أدبية جديدة
بتشجيع الباحثين ، ونشر كنوز الأدب العربي بين الناطقين بالاضاد في كل مكان ،
وكان من المفهوم أول الأمر أن الطبقة الجديدة من رجال الأدب الذين يرتوون

من معين هذه الكلية سيعفون عن الوظائف الحكومية ؛ فإنها لم تنشأ لتخريج موظفين ، وإن نشاطهم الفياض سيجد آفاقا واسعة في نواح أخرى، وإن الناس سيطلبونهم في كل مكان حين يعرفون قيمتهم العلمية، ومكانتهم الأدبية، وما لهم من دراية بناهج البحث الحديثة ، ولكن الكلية لم تتعلق بهذا الغرض زمنا طويلا، أو قل: إن طلابها لم يرقهم هذا الغرض، ولم تعجبهم هذه الغاية .

وكان لهم الأول هؤلاء الشبان أن يطمعوا في الحصول على وظائف مدرسين في بعض المدارس الابتدائية أو الثانوية . ثم نظم الأزهر على النحو الذي نعرفه مع الاحتفاظ بأساتيدته، وأنشئت فيه كليات من بينها كلية اللغة العربية، ولم يكن يخطر في بال أحد إذ ذاك أن الأزهر سيمتد به طموحه إلى أن يخرج معلمى اللغة العربية؛ ليقوموا بتدريسها في مدارس وزارة المعارف، ولكن ما كادت كلية اللغة العربية تخرج الدفعة الأولى من طلابها حتى اتجهت الأنظار نحو المدارس وتعليم اللغة العربية والدين فيها، وأرادت وزارة المعارف أن تفتح لهم أبواب العمل، فكتبت إلى المدارس الحرة تنبيه أصحابها أنها تعتبر خريجي كلية اللغة العربية من الفنيين؛ إذا قاموا بالتدريس في هذه المدارس تدفع عنهم إعانة، وكان ذلك بصفة مؤقتة ، ولكن المدارس مع ذلك رغبت عنهم ابتداء أو بعد تجربة، فأغلق هذا الباب في وجوههم .

ثم جاء هذا العام وحاول الأزهريون أن يتلصوا الوسائل لفتح هذا الباب، وحين ذاك فقط دخلت المشكلة في طورها الجدى ، وقام الأزهر الشريف يطلب كثيرا من وظائف الحكم .

وتمسكت المعاهد الثلاثة كل معهد بوجهة نظره، ورأت الحكومة أن تحل هذه المشكلة ، فلجأت إلى تعيين لجنة تتولى دراستها ، وتقضى فيها برأيها الموفق إن شاء الله !

وبينما الناس في هذا النضال الذى بلغ حد العنف أحيانا كان أعضاء جماعة دار العلوم يتابعون خطتهم المرسومة في الإصلاح، ويدرسون المشاكل التعليمية

المهمة، ويضعون تقريراً مسبقاً أساسه الدراسة العلمية المجردة عن الهوى،
يدونون فيه الأصول التي يجب أن تراعى في إعداد المعلم عامة، ومعلم اللغة
العربية خاصة.

وقد تشرفوا برفع هذا التقرير إلى معالي وزير المعارف، وإلى قادة الرأي في
البلاد، وليس لهم من وراء ذلك غرض إلا أن يكونوا من رسل الإصلاح، وهذه
الناس إلى الخير. وقد نشرنا هذا التقرير برمته في هذا العدد.

ويتصل بهذه المشكلة - مشكلة إعداد المعلم - أمور: منها أن زمن الدراسة
بمعهد التربية للذين أصبح سنة واحدة بعد أن كان سنتين، ولست أدري ما الذي
يستطيع الطالب دراسته في هذه السنة من علوم التربية وهي كثيرة العدد، واسعة
المباحث؟ وهل يتسع أمام مجال التمرين، وتطبيق ما قد يحصل من نظريات
وأراء في تدريس المواد المختلفة؟ إن الأمم الغربية على اختلافها تعنى عناية شديدة
بدراسة التربية دراسة علمية وعملية، وتجعل لها منزلة عظيمة بين الدراسات العالية،
وليس من اللائق ومهم ترسم خطاً هذه الأمم في سبيل الرقي أن تكون دراسة
التربية فيها على نحو ما انتهت إليه.

ولقد تقدم طلاب كلية الآداب إلى حضرة صاحب المعالي وزير المعارف
يطلبون إلغاء معهد التربية وإدماجه في كليتهم، والاعتراف بشهادة الكلية
كشهادة فنية للتربية، ويسرنا أن نسجل هنا رد حضرة صاحب المعالي الوزير، قال:

«ليس من الميسور إلغاء معهد التربية وإدماجه في كلية الآداب؛ لأن
المعهد يلتحق به طلاب من كلية الآداب ومن كلية العلوم ليصبحوا مدرسين في
المواد التي تخصصوا فيها، كما اقترحت لجنة ألفت سنة ١٩٣٧ برئاسة سعادة مدير
الجامعة أن يلتحق بالمعهد من يهتدون للتدريس من غير أبناء الجامعة.

هذا وليس يكفي في تهيئة المعلم للتدريس أن يحصل على الدرجات العلمية،
بل يجب أن يدرّب على نظام خاص، في جو مشبع بروح نظامية، يتسنى للمدرس

معها أن يطبق قواعد التربية تطبيقاً عملياً على وجه منتج ؛ ولذلك كانت معاهد
تخريج المعلمين في البلاد المتحضرة كلها قائمة بذاتها ، لها نظمها ولها شهاداتها .
ثم إن عدد المعلمين الذين تحتاج إليهم البلاد يجب أن لا يزيد على هذه الحاجة ،
ولذلك يجب أن يختار معهد التربية أصح العناصر للتعليم في حدود هذه الحاجة ،
حتى لا يزداد عدد المتخرجين الذين يطلبون وظائف التدريس ، فتضيق بهم ، وتزداد
بذلك مشكلة المعلمين المتعطلين حدة . ونحن جميعاً نحرص على تفادي هذه المشكلة
ولا نريد أن نخلق أسباباً لتفاقمها ،

وهذا هو الذي سجلته جماعه دارالعلوم في تقريرها ؛ إذ تقول : «إن أعداد المعلم
يتطلب معاهد منظمة ، وحياة منظمة ، ولا تكفي في إعداد المسابقات العلمية ولا
التنافس في الاستظهار ، ولا فتح الباب لكل طارق

فالمعلم ليس كتلة من الحقائق العلمية ، فهذه الحقائق مسطوره ميسورة ، وليس
عمله مقصوراً على تكوين المعلمين من الوجهة العلمية فحسب ، بل إن المعلم هو
القدوة الصالحة في خلقه وسلوكه وعاداته ونظامه الفكري وأسلوبه في الخطاب
وفي الحوار وفي الغايات السامية التي تطمح إليها الأمم في نهضتها .

ونعتقد مخلصين أن فيما صرح به حضرة المعالي وزير المعارف ، وما سألجته
جماعه دارالعلوم في تقريرها الأسس الصالحة لحل المشاكل التي تتعاقد بإعداد المعلم .



العبارة في الأدب

قيمتها — صلتها بالعناصر الأخرى — اختلافها — مقاييسها النقدية

للمؤستاذ أحمد السائب

المدرس بكلية الآداب

١

هذا هو العنصر الرابع والأخير من العناصر الأدبية العامة ، وقد ذكر فيما مضى العاطفة ، والخيال ، والفكرة ، وقلنا في كل منها كلمة طائفة . ويظهر مما سبق أن هذه العناصر الثلاثة هي جوهر الأدب وغايته ، المراد أداؤها أو نقلها إلى نفوس القراء والسامعين . وأما هذا العنصر اللفظي فوسيلة لهذا الأداء إلا أنه وسيلة لا تقل مكانتها عن سائر العناصر . وكيف ، وهي معرضها الظاهر ولسانها الصادق ، وصنعتها الفنية الممتازة ، حتى وضعها النقاد يازاتها ، وقام ابن قتيبة في كتابه « الشعر والشعراء » يعد اللفظ قسيم المعنى ، ويفرده بالكفاية في بعث الجودة الشعرية . ومهما يكن لنا من تعقيب على رأى ابن قتيبة ، فليس من شك أن اللفظ صورة الأدب ، ومظهره الخارجى لروحه الداخلى ، ورسوله الذى يسلمه إلى القراء .

وقد سميناه العبارة ، وأحيانا يسمى نظم الكلام أو الأسلوب ، ويدعوه بعض النقاد الغربيين : العنصر الصورى فى الأدب The Formal Element in Literature وهذه التسمية الأخيرة تدعوني إلى التقييد بعض الشيء بهذه المصطلحات الفرنجية ، لا لشيء إلا لأنها شاعت فى أدبنا الحديث من ناحية ، ولأنها فى حاجة إلى التعريب والإيضاح من ناحية أخرى .

علينا أن الأدب هو التعبير عن العقل والعاطفة ، سواء أكان ذلك شعراً أو نثراً ، وهذا التعبير معناه نقل الفكر والشعور إلى الآخرين ، وهو لا يتحقق

إلا بوسيلة أدبية ، فهذه الوسيلة تدعى الصورة الأدبية ، وهي بطبيعة الحال — وفي آخر مراجعها — هذه العبارة اللفظية التي تتألف ، تأليفاً خاصاً ، من الجمل والكلمات ، وتخضع للنظام الموسيقي الجميل .

ولكنك عرفت فيما مضى أن العاطفة — وهي العنصر الأدبي الأول — كثيراً ما تعتمد على الخيال لاستطيع الظهور والتأثير . فالخيال هو اللغة الحسية والطبيعية لتصوير العاطفة ونقلها إلى نفس الأديب القارئ ؛ لذلك كنا مضطرين إلى ملاحظة الخيال فيما نلاحظ ، حين تناول العنصر اللفظي في الآداب . كذلك لا نستطيع إهمال الفكرة إذ كانت عماد العاطفة أولاً ، وكانت تحتل المكانة الأولى في بعض الفنون الأدبية ثانياً ... أفبعد هذا يمكن للدارس فصل اللفظ عن المعنى — أو الصورة عن المادة — كما قد يتوهم السذج السطحيون ؟ كلا ، فليس في مكنة الناقد أن يدرس اللفظ ناسياً المعنى ، أو ينقد المعنى وهو يهمل اللفظ ويغفله ، ومثلهما في التراصل ، وتبادل التأثير والتأثير بمثل الجسم والروح كلاهما شديد الصلة بالآخر متأثر بما يحدث له ؛ فتقوة اللفظ من قوة الشعور ، ووضوحه من وضوح الأفكار ، وجماله من جمال الذوق ، كما أن غموض الأفكار كثيراً ما ينشأ عن فقر في اللغة واضطراب في الأداء والتعبير . وأخيراً هل تستطيع أن تنقد أو تدرس شكل التمثال منفصلاً عن مادته العاجية ، أو أن تنكتفي بالعاج خاماً لتفهم التمثال ؟

هذا حق في الأدب يسير طرداً وعكساً فلا يمكن تخلفه ، وسبب ذلك هذه العاطفة التي تشبه حرارة الجسم الباطنية ؛ أي تغيير في درجتها يبدو واضحاً في مزاج الإنسان وقواه . وإذا أردت مثال ذلك ، فافقرأ قول حسان بن ثابت : —
يُغَشَّوْنَ حَتَّى مَاتِهِمْ كَلَابُهُمْ لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمَقْبَلِ
مع قول الآخر : —

يُغَشَّوْنَ حَتَّى مَاتِهِمْ كَلَابُهُمْ أَبَدًا ، ولا يسألون من ذا المقبل ؟
تجد أن هذا (الآخر) غير في عبارة الشطر الثاني ، فغير في المعنى وأفسده من وجهين : أولها أن كلمة (أبداً) فضول لا معنى له وإن ظن الشاعر أنه

مبالغة ، والثاني أنه جعل المقبل أدنى إلى القلة بعد ما كان سوادا في البيت الأول ومن الناحية الأخرى نجد أن هذا المعنى السقيم أفسد اللفظ من وجهين أيضاً : أحدهما هذا القطيعة التي بدت بين الشطرين بسبب هذا الظرف الأبدى حتى اضطر الشاعر إلى واو العطف التي تربط الجملتين ربطاً صناعياً . والثاني ما نحسنه في البيت الأول من الموسيقى والتناسق الذي ربط الشطرين ربطاً محكماً لطيفاً لا نحسنه في البيت الثاني .. وذلك ناشئ من العزوف عن المبالغة الفضولية ، ووضع الشطر الثاني بالنسبة إلى الأول موضع الاستئناف النحوي ، أو العطف المعنوي ، أو الحال إن نفع الحال .

ونذكر مثالا آخر لنبين هذه الصلة — في التعبير — بين العبارة والخيال ، وما كان من أثر ذلك في قيمة النظم الأدبي ، قول أبي وجزة : —
أناك المجد من ههنا وههنا وكنت له كمجتمع السيول

مع قول منصور النمرى : —

إن المكارم والمعروف أودية أحلك الله منها حيث تجتمع
فالخيال في البيت الأول يجعل الممدوح مستقراً تتوالى عليه أسباب المجد ، فكان كمجتمع السيول ، وهذا التشبيه — مهما يكن مغزاه العقلي — لا أراه جميلاً . ولكن الخيال في الثاني جعل الممدوح متحركاً بعون الله ، ثم مختاراً أحسن المواقع ، وذلك فوق تصوير المكارم والمعروف تسمييراً حسناً ، فهي أودية الخصب والخيرات . وانظر إلى مظاهر ذلك في موسيقا البيت الثاني ، وكلماته المتألقة ، ثم كمال الاتصال الوصفي الذي أغنى عن الواو . . . مع خلو من التكرار . مظهر الإعجاب بالنص الأدبي موزع ، بين عناصره جميعاً ، أو بين اللفظ والمعنى ، لا ينفرد أحدهما بالإعجاب أو الزاوية دون الآخر . وحين نصف أبا العتاهية — مثلاً — بسهولة اللفظ نكون متأثرين في ذلك إما بموازنته بغيره ، وإما بقلة معانيه العيرون حتى تغلب اللفظ ، ووضحت سهولته الممتازة . . . وإن كان الحق أن هذه السهولة تنسك على المعنى ووضوحه إلى حد كبير . وهنا نذكر ابن قتيبة حيث يقول عن الشعر : « وضرب منه حسن لفظه وحلا ،

فإذا أنت فتشته لم تجد هناك طائلا، وهذا الصنف في الشعر كثير، ونحو منه قول جرير: —

إن الذين غَدَوْا بلبك غادروا و شلا بعينك لا يزال معينا
غَيَّضُنْ من عبراتهن وقُلْنَ لى ماذا لقيت من الهوى ولقينا ؟
نعم نذكر ابن قتيبة لندل (أولا) على أن في مثل هذا الشعر طائلا قويا
عماده العاطفة الصادقة، والخيال الجميل، كما شرحنا ذلك قبلا، (وثانيا) على أن
هذا الحسن الذى سحره ليس من ناحية اللفظ وحده، وإنما للمعنى فيه حظ وافر،
وكان الجمال اللفظى صدى لجمال المعنى.

٢ —

ولكن ما حاجة النقد الأدبى إلى هذه العناية بما بين اللفظ والمعنى من
صلات ؟

الحق أن مقاييس النقد قائمة على هذه الصلة، فليس للعبارة الأدبية قانون
نقدى أصح ولا أعم، من قدرتها على الإفصاح عن المعنى، ومن هذه الملاممة
التي تجعل العبارة مرآة مجلوة لمضمونها، وصدى موسيقياً لما تؤدى من
فكر وشعور.

(١) فإذا كانت المعانى حقائق عليية خالصة لا دخل للعاطفة فيها، كان من
السهل الحصول على عباراتها، إذ أنها تتألف من ألفاظ اصطلاحية، وكلمات
عادية سهلة نشأت من الوضع اللغوى قديماً أو حديثاً، واللغة كما هو مقرر إنما
وضعت أول أمرها يازاء الأفكار لتعبر عنها؛ لذلك لا تجد الكتاب يختلفون
كثيراً فى أداء هذه الحقائق، وهم إذا اختلفوا كان اختلافهم يسيراً لا يؤثر
فى جوهر المعنى. فقولنا: «إن زوايا المثلث تساوى قائمتين» لا يخالف
قولنا: «إن الزاويتين القائمتين تساويان مجموع زوايا المثلث» فى جوهر المعنى
المراد. دعنا من تغير الأوضاع اللفظية، والاعتبارات النظرية.

والنقد الأدبى - وإن كان ضعيف الصلة بهذا النوع من الكلام - يعتمد
فى تقديره، على الوضوح، وليست هذه الصفة سهلة التوافر، فإنها تتطلب أموراً

نفسية ، وعقلية ، ولغوية ، لا يحظى بها إلا قليل . فالإخلاص للفكرة ، والحرص على عرضها كما هي ، أول مطالب الوضوح ، ثم فهمها فهماً عميقاً شاملاً محدوداً بحيث لا تختلط بسواها ، ولا تقتضب اقتضاباً يثروه صوابها ، وأخيراً هذه الثروة اللغوية ، والدقة في اختيار الكلمات ، والقدرة على التمييز بين التراكيب التي تعد جامعة مانعة .

وكتب الطبيعة والكيمياء والرياضة ، مثال صادق لهذا الأسلوب العلمي الصافي ، فإذا لم يتوافر الوضوح استطاع الناقد البارع أن يرد ذلك إلى أحد أسباب ثلاثة : إما أن الكاتب لا يفهم ما يريد أدائه ، فلما فقد الوضوح في عقله فقدته في عبارته ، وإلا فكيف يفهمنا شيئاً لا يفهمه هو ؟ وإما أنه فقير في هذه الوسيلة اللغوية فلم يستطع أن يصوغ من محصوله الضئيل عبارات هي كفاء ما في عقله من الأفكار ، وتكون معانيه كالأسير المقيّد في الأغلال ، يحاول الإفلات بقوته الذاتية فتمنعه هذه الكبول ، فيبدو التعبير مضطرباً متناثراً العناصر . وإما أن القراء أنفسهم ليسوا في المستوى العقلي الذي يعينهم على فهم الحقائق التي يعالجها الكاتب . . . وإن كان البايغ التام هو الذي يستطيع أن يضع الأفكار العالية في عبارات يفهمها سائر الناس .

(٢) وإذا كانت المعاني حقائق عقلية مستها العاطفة ، وخلعت عليها ثوباً لطيفاً يجعلها سائغة مقبولة كناً أمام الأدب بمعناه العام - كالتاريخ والنقد الأدبي - أو كناً أمام العلم بمعناه العام ، وإنما أريد هذه المعارف التي يستعان على إفهامها وإساعتها بعاطفة من الإخلاص ، أو المحبة ، أو صدق التصوير لتبلا تكون جافة ، أو جسماً لا روح فيه . وهنا يضطر التعبير أن يتجاوز هذه اللغة العقلية الخالصة إلى لغة أخرى وسط بين العقل والشعور ، أوفيهما من العبارات العقلية العاطفية بقدر حظ المعاني من هذين العنصرين ، فتقرأ المقالة السياسية أو الاجتماعية أو الفلسفية أو التاريخية فتدرك منها شيئين : الأفكار العلمية التي يراد أدائها ، ثم العاطفة التي تستيقظ في نفسك فإذا بك مقبل على الكاتب وموضوعه ، أو معرض عنهما ، أو ما شئت من هذه النزعات

الوجدانية التي تطيف بنفسك عقب القراءة أو في أثنائها . وإذا دخلت العاطفة كان لابد لنا من ابتكار لغة أخرى خاصة بها ، لغة لا يجدها في معاجم اللغة ، ولا في كتبها العلمية ، هي لغة الخيال أو الصور البيانية التي ذكرناها في أحد الفصول السابقة ، وهذه اللغة تقل فيها المصطلحات بقدر ما يظهر فيها التعميم وتسودها الرشاقة والخفة بدل التحديد والتزمت ، وتخطب العقل والشعور بعد ما كانت عقلا خالصاً ، وهي مع ذلك مقيدة بالعقل إذ كانت لغة نفعية يقصد بها الإفادة ، وكان التأثير فيها وسيلة إلى تلك الغاية المقصودة . . فكيف تنقد هذا التعبير ؟

لا يزال الوضوح هو المقياس الأول في هذا الباب أيضاً ، ما دام الغرض من الكتابة هنا هو الإفادة والتثقيف . ولكن لما كان هذا العلم ليس رياضة ولا كيمياء فقد برى أسلوبه من هذه الرموز الجبرية والحسابية ، وصار الوضوح نظريات عامة ، ومنطقاً مرناً ، وآراء سديدة معقولة . ولما دخلت العاطفة وسيلة في هذا الأدب العام ، اضطر النقد أن يشرك مع الوضوح مقياسين آخرين ثانويين ، مكنتهما بقدر مكانة هذه العاطفة : القوة والجمال ، ولابد أنك أدركت أن هذين المقياسين إنما دخلا بدخول العاطفة فهما لذلك ثمرتها وآثارها ، فالقوة من قوة العاطفة التي هي الإخلاص للعاني والحرص على إيصالها وإذاعتها ، والجمال من جمال الذوق وتأثير الموسيقى ، أو حركة العاطفة وأنغامها الداخلية . واكتفى هنا بها القدر إذ أتى ساعود إلى الكلام في هذه الصفات بعد قليل .

(٣) وهنا الأدب بمعناه الخاص أو الأدب الخالص ؛ حيث تتقدم العاطفة فتحتل المكانة الأولى ، ومعها أو بعدها بقليل تأخذ الفكرة مكانتها ، فنجد الشعر الغنائي ، والنثر الأدبي الممتاز : رسالة ، وقصة ، وخطابة ، ووصفاً ، ورواية ومحورها من هذا الأدب العاطفي ، الذي يرمى إلى إثارة انفعالات ، معتمداً على الأفكار باعتبارها وسائل تسند العاطفة وتعينها على القوة والخلود . ومعنى هذا أننا أمام فن تكاد تتوازن فيه العناصر المعنوية ، ففيه الأفكار التي يجب أن

تفهم ، والعواطف التي تثار ، والخيال الذي يمحور ، كل ما يكون بينها من التفاوت ، الذي تقتضيه طبيعة الموضوع أو شخصية الأديب .

وهذه الطبيعة الفنية ، تعوزها لغة متميزة تتوافق لها خواص فنية تلائم ما تؤدي من المعاني . هذه اللغة العاطفية تخالف لغة العقل السابقة بخالفة شتى المظاهر ، ولكنها ترجع إلى أصل واحد ؛ فلغة العقل طبيعية صريحة ، ولغة العاطفة ابتكارية رمزية ، هذا هو الفارق الأساسي . أجل ، هناك فرق بين قولك : « قضيت في بغداد أيام الصبا والشباب » وبين قول ابن الرومي : —

بلد صحبت به الشبية والصبا ولبست ثوب اللهو وهو جديد
فاذا تمثّل في الضمير رأيتُه وعليه أغصان الشباب تميدُ

فالعبرة الأولى (١) لغة المعاجم التي وضعت بإزاء المعاني المحدودة، وصارت حقا مشتركا بين جميع المتكلمين (٢) وهي مع ذلك تقول كل شيء يطلب منها لا تحمل العقل على عمل آخر، يكمل به أصل المعنى .

أما هذا الشعر (١) فلغته ابتكارية خلقها الشاعر بمساعدة الخيال ؛ فالصبا صديق مصاحب ، واللهو ثوب قشيب يابس ، وبغداد شيء تتمايل عليه أغصان الشباب .. فمثل هذه العبارات ليست من أوضاع اللغة ، بل من خلق الشعراء والأدباء . (٢) وهي بعد ذلك لغة موجزة ترمز إلى المعاني ولا تكملها ، فتترك للذهن أو للخيال مجالا يسرح فيه ليكمل ما نقص ، ويستنبط ما يحلو له من الصور ، مشاركاً الشاعر في كمال التصور والأداء . فعبارة « صحبت الشبية ، ولبست ثوب اللهو » توحى بحب الشباب والتعلق بأسبابه ، والحب في مناحي اللهو والعبث ، ثم انظر أية صورة تتمثل في الذهن لهذا الشطر الأخير ، وأي معان تتوارد على الخاطر !

لا نستطيع هنا استقصاء المظاهر اللفظية لهذه العبارة العاطفية ، ولا دراسة أسبابها ، فقد يكون ذلك شأن علم البلاغة ، وكل ما تسمح هذه الصحيفة بذكره أن نلاحظ (١) رشاقة الكلمات ، وتآلف الجمل ، وسلاستها (٢) ثم هذه الصور الخيالية الجميلة التي يعرضها الخيال (٣) وهذا النغم الموسيقي العام أو السحر

التعبيرى الذى كثيراً ما ندركه ونعجز عن وصفه وتعليقه :-
 إنَّ بينَ الكُثيبِ فالجُزَعِ فالآ رَامَ رَبْعاً لآلِ هِنْدٍ مَحِيلاً
 أبلت الریح والرَوَائِحَ والأَيَّامَ مِنْهُ مَعَالِماً وطلولا
 وبكاء الدیار بما یرد الـ شوق ذكراً، والحب نضراً ضئيلاً
 لم یکن یومُنا طویلاً بنعما نـ ، ولكن كان البكاء طویلاً
 فقد تضيف إلى ماسبق ، جمال الوزن العروضى ؛ وعبقريه البحترى ؛
 ولكنك لن تغفل أبداً من الاعتراف بأن هذا الجمال الموسيقى يعرِّد أولاً وأخيراً
 إلى عاطفة الشاعر الرقيقة ، الحدية الوفية ، وإلى حسن ذوقه فى اختيار لغتها التى
 صارت صدی لعاطفته وكفى .

- ٣ -

وإلى هنا كنت حريصاً على استعمال كلمة « عبارة » دائراً حولها ، لآتجاوزها
 إلى سراها . ولكن هناك كلمة أخرى حيت فى هذا العصر الحديث ، وسيطرت
 على البينات العلمية والفنية ، ولها فى النقد الأدبى سلطان عريض ، هى كلمة
 الأسلوب Style وهى كلمة تطلق بشئ من التجزؤ على هذا العنصر اللفظى الذى
 نكتب فيه ، ويعرف الأسلوب بأنه طريقة التعبير ، أو التناول . وإلى أن
 تتاح لى فرصة الكلام فيه هنا أو هناك ، أرائى مضطراً إلى التقريب بينه وبين
 كلمة « عبارة » حتى أسهل على نفسى وعلى القراء السير بهذا الفصل إلى غايته
 فكيف تنقد الأسلوب الأدبى أو هذه العبارة الأدبية ؟
 بهذه المقاييس أو الصفات الثلاثة : (١) الوضوح (٢) والقوة (٣) والجمال
 وقد تقدم القول فى الوضوح . فلنقل كلمة موجزة فى كل من المقياسين
 الآخرين .

لا يمكن تحقيق القوة الأسلوبية قبل توافر الوضوح ، فهذه الصفة التى
 مضت هى الأساس الأول لتحصيل الثانية . والمصدر الأول لقوة الأسلوب
 هو نفس الأديب ، وإنما أعنى قوة العاطفة والإرادة ، وهذه القوة تنمو فى
 النفس بشيئين اثنين :

(١) قوة العقيدة والثقة في صحة الأفكار، والتشبث بها، دون شك أو اضطراب (٢) ثم الإخلاص لها، والحرص على أدائها كما هي، والرغبة الصادقة في نشرها وإذاعتها.

فعن هذين نجد حرارة تنبعث في الكلمات والتراكيب والعبارات، ونتيجة ذلك أن يشعر القارئ الناقد بأن هذا النص الأدبي يصدع عقله، ويحمله على التفكير العميق، وينقله من هذا الخمول أو الهدوء الذي يلبس العبارات العلمية الخالصة أو العادية الفاترة. قال المتنبي: —

ولا تحسبن المجد زقا وقينة فما المجد إلا السيوف والفتك البكر
وتضرب أعناق الملوك وأن ترى لك الهبوات السود والعسكر المجر
وتركك في الدنيا دويأ كائما تناول سمع المرء أنمله العشر

فهذا (١) الرنين الذي يطن في آذانك (٢) والروعة التي تملك نفسك (٣) والرأي الذي يلفت نظرك أو يوقظ عقلك وبصيرتك.. كلها ثمرة (١) لاعتزاز أبي الطيب برأيه (٢) وإخلاصه له (٣) وحرصه على إذاعته، فكانت هذه الخواص الأولى أصداً للأصول الثانية. ثم اقرأ قول زياد في خطبته البتراء:

«أما بعد فإن الجهالة الجاهلاء، والضلالة العمياء، والغنى الموفى بأهله على النار، مافيه سفهاؤكم، ويشتمل عليه حباؤكم، من الأمور العظام، يثبت فيها الصغير، ولا يتحاشى عنها الكبير... حرام على الطعام والشراب حتى أسويها بالأرض هدماً وإحراقاً...» ولا تظن أن هذه الجملجة الصاخبة تهب عليك من حدود الألفاظ والعبارات، لأن مهبط الحق، بعيد عن ذلك عميق، هو سخط زياد وجبروته، هو شعره القوي، وإرادته الصارمة التي جذبت إليها كفاءها من التراكيب، ونظمها نوافيس داوية، هتافة بالندر، حتى تم لزياد ما أراد. ثم ارجع إلى القرآن الكريم، واستمع إلى أكثر السور المسكية، تسمع المثل الأعلى... في القصص، والتقريع، والإنذار.

كذلك الجمال مصدره الأول الذوق، وهذه الملاممة بين المعاني والألفاظ؛

لتكون التانية لغة صادقة طبيعية للأولى . وهنا تنبه إلى أن الجمال هنا معناه الصدق، ودقة التصوير لما فى النفس . فلسنا نغنى بغزابة اللفظ ، ولا بالمحسنات البديعية ، ولا بالصنعة أيا كان نوعها .

وهذا الجمال يقوم فى العبارة على (١) براعتها من الكلمات الخشنة التانية (٢) وعلى المناسبة بينها وبين موضوعها ومعانيها . لنسمع منها موسيقا صادقا - رخيمة أو صاخبة ، باكية أو بهيجة ، يائسة أو آملّة - لماذا ؟

لأن النفس التى تكتب رخيمة أو صاخبة - فيدرك القارىء أو السامع بأذنه وذوقه ما فى نفس الأديب إدراكا صادقا ، لأن جمال الأسلوب معناه صدقه فى الأداء .

ولسنا هنا فى حاجة لنورد أمثلة جديدة ، فهذا البحترى فى قصيدته التى مطلعها :
ذاك وادى الأثراك فاحبس قايلا مقصرا من صباية أو مطيلا
والتي منها الآيات السالمة .. يسمعك موسيقا نفسه الوفية الحزينة ، فى كلمات
هى الألحان الرقيقة المناسبة .

وهذا أبو الطيب يسمعك من نفسه موسيقاها الساخطة الصاخبة حيث يقول
ومن عرف الأيام معرقى بها وبالناس روى رحمه غير راحم
وحيث يقول :

مُلِكٌ القَطَرُ أعطشها ربوعا وإلا فاسقها السُّمُّ النقيعا
أسألكم عن المتدبر بها فلا تندى ولا تندى دمرعا

وهذا القرآن الكريم يعرض علينا فى آيات متتابعات من سورة الزمر نغمة
الفرع الأكبر ، تلوها نغمة المسرة الطريفة ، فصوت الحق الكبير ، ونفخ فى
الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا ما شاء الله ، ثم نفخ فيه أخرى
فإذا هم قيام ينظرون . وأشرق الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجىء
بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون ، ووفيت كل نفس ما عملت
وهو أعلم بما يفعلون ، صدق الله العظيم ؟

الأسلوب

للمؤلف عبد الوهاب محمود

المدرس بكلية الآداب

— ١ —

الأسلوب في اللغة الطريق والمذهب.

الأسلوب في اصطلاح أهل الأدب، هو الطابع الخاص، الذي يطبع به الناظم أو الناثر تعبيره.

أو هو القالب الذي يصوغ فيه الأديب تعابير، عند إرادته الإفصاح عن فكرة أو عاطفة. وهو صورة من النفس، ولون للذهن، ومرآة للخلق. ومن ثم قيل: أسلوب جاحظي؛ لأنه مرآة صافية لطبعه، وصورة ناطقة لمزاجه، ورسم وضاح لآلوان ثقافته.

وكذا قيل أسلوب بديعي، لأن بديع الزمان قد طبعه بطابعه، وصبغه بأصباغ نفسه، وخلع عليه ألوان مزاجه.

مثال الأسلوب هو صورة للنفس ولونه للذهن:

تجمع قوم من أهل الصناعات فوصفوا البلاغة.

قال الجوهري: أحسن الكلام نظماً ما ثقبته يد الفكرة، ونظمته الفطنة، ووصل جره معانيه في سموط ألفاظه، فاحتملته نحور الرواة.

وقال العطار: أطيب الكلام ما عجن عنبر ألفاظه بمسك معانيه، ففاح نسيم نشقه، وسطعت رائحة عبقه، فتغلقت به الرواة، وتعطرت به السراة.

وقال الصائغ: خير الكلام ما أحميته بكبر الفكر، وسبكته بمشاعل النظر، وخلصته من خبث الإطناب، فبرز بروز الإبريز في معنى وجيز.

وقال النجار: خير الكلام ما أحكمت نجر معناه بقدر التقدير، ونشرته بمنشار التدوير، فصار باباً لبنت البيان، وعارضة لسقف اللسان.

وقال الجمال: البليغ من أخذ بخطام كلامه فأناخه في مبرك المعنى، ثم جعل

الاختصار له عقلا ، والإجادة له مجالا ، فلم يند عن الآذان ، ولم يشذ عن
الآذهان .

الفرق بين الأسلوب والتعبير والعبارة

الأسلوب قد تقدم تعريفه ، وبين معناه .
أما التعبير فهو الإبانة عما في النفس ، والإعراب عما يحول بالخطار ، وهو
بهذا التحديد في كل الفنون ، غير أنه يختلف في الأداة بحسب كل فن . فالتعبير
في الموسيقى أدوات النغم ، وفي النقش أدوات الألوان ، وفي الأدب أدوات الألفاظ .
ثم أطلق على الألفاظ نفسها المختارة المستعملة في الإبانة والإعراب طبقاً
لقواعد اللغة .

أما الأسلوب فهو الوصف العام الذي تمتاز به تلك التعابير ، والظاهرة
الواضحة في ملامح تلك الألفاظ .

فتلا الإيضاح بعد الإبهام تعبير ، والتكرير تعبير ، والاعتراض تعبير .
يجمع كل هذه التعابير وصف واحد هو الإطناب ، فيقال للأسلوب الذي شاع
فيه هذه التعابير مطنب . وهكذا الشأن في الإيجاز والتفخيم ، وغير ذلك من
أوصاف الأسلوب .

فالتعبير إذن جزء من مقومات الأسلوب ، وليس هو الأسلوب نفسه . أما
العبارة فهي مختصة بالكلام الذي يعبر من المتكلم إلى السامع .

عناصر الأسلوب

إذا أردنا التحدث عن أسلوب كاتب ما ، أو شاعر ، أو خطيب ، أو قاص ،
وجب علينا أن نبحث لذلك عناصر ثلاثة ، هي مقومات الأسلوب وأركانها .

العنصر الأول	التعبير .
العنصر الثاني	الأفكار أو المعاني .
العنصر الثالث	الوجدان أو العاطفة .

ولكل عنصر من هذه العناصر صفات يجب أن يتوافر فيه ، حتى يصح أن يوصف بالجودة والجمال .

فصائص التعبير

للتعبير ست خصائص .

- (١) السهولة : وتعرف أيضا بالسلاسة ، والظرافة ، والفطرة .
- (٢) الانسجام : ويعرف أيضا بالعذوبة ، والحلاوة ، والاتساق .
- (٣) حسن الاختيار : ويعرف أيضا بالصفاء والغربة والنقاء ، فيقال أسلوب مصفى ، وأسلوب مغربل ، وأسلوب منخول ، وأسلوب نقي .
- (٤) حسن النظم : ويعرف أيضا بجمال الرصف ، وكمال الصوغ ، وصحة السبك ، وجودة السبك ، وحسن التأليف ، وجمال التركيب ، واستواء الظم والثام الرصف .
- (٥) الطلاوة : وتعرف أيضا بالروتنق والرواء ، فيقال لأسلوبه رونق ، وله رواء .
- (٦) التناسب : ويعرف أيضاً بالنشابه ، وائتلاف الألفاظ مع المعاني .

لهذه الصفات اعداد يوصف بها الأسلوب الردى البشع .

- (١) ضد السهولة : التكلف — التمنع — العمل .
 - (٢) ضد الانسجام : الفثاة — قلة الحلاوة — عدم الاتساق — التنافر .
 - (٣) ضد حسن الاختيار : سوء الاختيار — الابتال — الدوق .
 - (٤) ضد حسن النظم : سوء النظم — قبح الرصف — سماجة التركيب — حيف التأليف — أودالنظم .
 - (٥) ضد الطلاوة : الفتور .
 - (٦) ضد التناسب : عدم التناسب — عدم الإئتلاف .
- وللقاد تماير أخرى لا تخرج عن هذه المعاني .

١ - السهولة

السهولة أو الظرافة هي أن يأتي الناظم أو الناثر بالفاظ سهلة بعيدة عن التكلف، بريئة عن التصنع، خالية من الأنواع البديعية، إلا أن يأتي ذلك في ضمن السهولة عفواً من غير قصد. وهي تدل على رقة الحاشية، وحسن الطبع، وسلامة الذوق.

قال باسكال « عند ما يقرأ الإنسان أسلوباً فطرياً يعجب به ويفتن، لأنه يؤمل أن يشاهد بين سطورهِ مؤلفاً قادراً، ورجلاً حقاً »
وقال جعفر بن يحيى: « البلاغة أن يكون الاسم سليماً من التكلف، بعيداً من سوء الصنعة »

وجاء في الصناعتين:

« والكلام إذا خرج في غير تكلف ركذ، وشدة تفكر وتعمل، كان سلساً سهلاً، وكان له ماء ورواء، وعليه فرند (وشى) لا يكون على غيره، مما عسر بروزه، واستكره خروجه »

الأمثلة

قال تعالى: « وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال، من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم. الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا، فإذا أنتم منه توقدون. أو ليس الذي خالق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم »
وقال الشاعر:

أليس وعدتني يا قلب أني إذا ماتبت عن ليلي تنوب
فها أنا تائب عن حب ليلي فمالك كلما ذكرت تنوب
والبهاء زهير قائد عنان هذا النوع وفارس ميدانه يقول:

سیدی قلبی عندك سیدی أوحشت عبدك
أترى تذكر عهدي مثلاً أذكر عهدي؟

أترى تحفظ ودى مثلما أحفظ ودك ؟
وهناك نوع من السهل يعرف بالسهل الممتنع، أو السهل المطمع وهو الذى
يظن من سمعه لسهولة ألفاظه، وعذوبة كلياته، أنه قادر على الإتيان بمثله، فإذا
أراد الإتيان بمثله عز عليه مناله، وعجز عن النسيج على منواله.
قال العباس بن الأحنف :

لا جزى الله دمع عيني خيرا وجزى الله كل خير لسانى
نم دمعى فليس يكتم شيئا ورأيت اللسان ذا كتمان
كنت مثل الكتاب أخفاه طي فاستدلوا عليه بالعنوان
وكتب عبد الحميد الكاتب موصيا بشخص :

« حق مرصل كتابي عليك كحقه على ؛ إذ جعلك موضعا لأمله، ورآني
أهلا لحاجته، وقد أنجزت حاجته، فصدق أمله »

وبما يجب التنبه إليه أنه لا يراد بالأسلوب السمع السهل أن يكون ضعيفا
ركيكا، أو نازلا ساقطا، وإنما يراد النمط الأوسط، وهو الذى ارتفع عن
الساقط السوقي، وانحط عن البدوى الحوشى، مع بعد عن الصنعة، وبراءة من
التكلف. غير أن هذا النوع من الأسلوب يفتقر إلى صبر طويل، وجهد عسير.

٢ - الانسجام

الانسجام هو أن يصاغ الكلام سهل المساق، عذب المذاق، متحدرا فى
الاستماع كتحد الماء المنسجم، خاليا من العقادة، وتكلف السبك، يكاد بسهولة
تركيبه، وحلاوة ألفاظه يسيل رقة وعذوبة.

فإن كان الانسجام فى النثر يكون غالب فقراته موزونة من غير قصد، حتى
يكون له فى القلوب وقع، وفى النفوس تأثير. وأغلب ما يعتمد عليه هذا النوع
أمران: الرشاقة والموسيقا.

والموسيقا فى اللغة العربية ذات شأن وبال، قد يضحى فى سديها بكثير من
القيود، ويتجاوز من أجلها عن كثير من التقاليد، وهم يخرجون الكلمة عن
أوضاعها المألوفة للحصول على الموسيقا.

قال النبي ﷺ وهو يرقى الحسن والحسين « أعيدكما بكلمات الله التامة ،
من كل شيطان وهامة ، ومن كل عين لامة » ولم يقل « ملة » وهي القياس ، وذلك
للا نسجام والاتزان .

وقال تعالى « والفجر وليال عشر » ، والشفع والوتر ، والليل إذا يسر ، حذفت
الياء من « يسرى » طلبا للوافقة في النغم ، والاتفاق في الجرس .
قال تعالى « الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام ، وما تزداد ،
وكل شيء عنده بمقدار » ، عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال ،
ولم يقل المتعال حرصا على الانسجام ، وطلبنا لجمال الاتساق ، وعذوبة
المساق .

ويتم الانسجام إذا لوحظ ما يأتي :

١ - خلوص التعبير من التناثر .

ب - اتساق جرس الكلمات ، واتفاق نغمتها ، وتلاؤم موسيقاها ، على أن
هذا لا يتكرر ولا يتوالى ؛ لأنه إذا تكرر أو طرد يدل على التكاثر ، وشدة
التصنع ، وإنما يحسن إذا وقع قليلا غير نافر . مثال ما كثر فيه ذلك حتى دل على التكلف
قول أبي صخر الهذلي :

عذب مقابها ، جدل مخلخاها كالدّ عص أسفلها ، محضورة القدم
سود ذوائبها ، بيض ترائبها محض ضرائبها ، صيغت على الكرم
عبل مقيدها ، حال مقادها بض مجردها ، لغاء في عهم
سمح خلائقها ، درم مراقفها يروي معانقها من بارد شيم
فهذا الاتساق لما توالى ، لم يحسن ، وذهب بالتكرار جماله ، فإن العبارات
إذا تكررت وتوالت في ثوب واحد ، ونغم مطرد ، دل هذا على التكلف ، وشدة
التصنع ، وأحدثت في النفوس مللا وسأما ، إلا إذا كان المقام يقتضي ذلك ، كما في
قصيدة مهلهل التغلبي يرثي كليباً ، وكما في قصيدة الحارث بن عباد ، وكما في سورة
الرحمن ، وفي سورة ، قل يا أيها الكافرون ، والمرسلات .

ج - التنويع في الجمل حتى لا تملها الأسماع ، وتنفر منها الطباع

ولا سيما في الأسلوب الخطابي، فينبغي أن ينوع الخطيب من إخبار، إلى استفهام، إلى تعجب، إلى إنكار.

من أمثلة لنثر في ذلك خطبة لعل بن أبي طالب، في ذم أهل البصرة، في وقعة الجمل :
كنتم جند المرأة، وأتباع البهيمة، رغا فأجبتم، وعتمر فهربتم، أخلاقكم رقاق، وعهدكم شقاق، ودينكم نفاق.

ومن خطبة له أيضا حين انتهى إليه أن خيلا للمعاوية، وردت الأنبار، فقتلوا عاملا يقال له حسان بن حسان، فخرج مغضبا يجر ثوبه، فرقى رباوة من الأرض. فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ﷺ ثم قال :

أما بعد فإن الجهاد باب من أبواب الجنة

وفيهما يتول :

يا عجباً كل العجب، عجب يميت القلب، ويشغل الفهم، ويكثر الإحزان، من تضائر هؤلاء القوم على باطلهم، وفشلهم عن حتمكم، حتى أصبحتم غرضا ترمون ولا ترمون، ويغار عليكم ولا تغيرون، ويمصى الله عز وجل فيكم وترضون، إذا قلت لكم: اغزوهم في الشتاء قلتهم : هذا أوان قروصر، وإن قلت لكم: اغزوهم في الصيف قلتهم : هذه حمارة القيظ، انظرونا ينصرم الحرن عنا، فإذا كنتم من الحر والبرد تفرون، فأنتم والله من السيف أفر.

يا أشباه الرجال ولا رجال، يا ملغام الأحلام، يا عقول ربات الحجال.

٣ - مسرعة الاختيار

هو أن يتخير الناظم أو النثر من الألفاظ والتراكيب أرجحها وزنا، وأشرفها جوهرًا، وأليقها في مكانها، حتى لا تكون اللفظة قلقة في موضعها، نائرة عن موطنها، فإنها إذا كانت كذلك هجنت الموضع الذي قصد تحسينه، وأفسدت المكان الذي أريد إصلاحه، فإن وضع الألفاظ في غير أماكنها، والقصد بها إلى غير مظاهرها، إنما هو كترقيق الثوب الذي إن لم تتشابه رقاؤه، وتتقارب أجزاؤه، خرج عن حد الجودة، وتغير حسنه، وتشوه جماله.

فالكلام الجيد الاختيار هو ما استوفى الأمور الآتية :

أولا - الدقة : وتعرف في البديع بحسن البيان ، وهو الإبانة عما في النفس بعبارة بليغة ، بعيدة عن اللبس ، إذ المراد من البيان إخراج المعنى إلى الصورة الواضحة ، وإيصاله إلى الفهم بأسهل الطرق ، وأحسنها وأدقها .

وهذا قد يكون تارة من طريق الإيجاز ، وطورا من طريق الإطناب بحسب ما يقتضيه الحال ، وهذا بعينه هو البلاغة وحقيقتها . فإن للإيجاز مواطن تليق به ، وللإطناب مقامات يحسن فيها ، وسند كرها عند الكلام على الإيجاز والإطناب وعكس الدقة التطويل والحشو والتفصيل في أمور تافهة ، لا تجدى في الموضوع نفعا ، ولا تمت إلى الغرض بسبب .

مسألة الرقة :

قوله تعالى : في سورة القصص .

«ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان ، هذا من شيعته وهذا من عدوه ، فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكره موسى فققى عليه قال هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين . قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم . قال رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيرا للجرمين . فأصبح في المدينة خائفا يترقب فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه ، قال له موسى إنك لغوى مبين . فلما أن أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما قال يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس إن تريد إلا أن تكون جبارا في الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين .

وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يا موسى إن الملائكة يأتون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين فخرج منها خائفا يترقب ، قال ربني نجني من القوم الظالمين .

ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل . ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ، ووجد من دونهم امرأتين تنودان قال ما خطبكما قالتا لانسق حتى يصعد الرعاء وأبرنا شيخ كبير فسقى لهما ثم تولى إلى الظل فقال رب إني لما أنزلت إلى من خير فقير .

فجاءته إحداهما تمشي على استحياء قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا، فلها جاءه وقص عليه انصبص قال لا تخف، نجوت من القوم الظالمين. قالت إحداهما يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين . قال إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثماني حجج فإن أتممت عشرا فمن عندك، وما أريد أن أشق عليك ستجدني إن شاء الله من الصالحين .

قال ذلك بنى ويذك أيا الأجلين قضيت فلا عدوان على والله على ما نقول وكيل .

فالدقة هي معرفة المقامات وما يصلح لكل واحد منها من الكلام ، ما بين إيجاز وإطناب . فلا يكلم سيد الأمة بكلام الأمة ، ولا الملوك بكلام السوق ، لأن ذلك جهل بالمقامات ، وبما يصلح في كل واحد منها من الكلام ، فلكل مقام مقال . والواجب أن تقسم طبقات الكلام على طبقات الناس ، فيخاطب السوق بكلام السوق ، والبدوى بكلام البدو ، ولا يتجاوز به عما يعرفه إلى ما لا يعرفه فنذهب فائدة الكلام ، وتعدم منفعة الخطاب .

كان بالكوفة رجل لا يتكلم إلا بالغريب ، فخرج إلى ضيعة له على حجر (الأثني من الخيل) معها مهر ، فأولمت فذهبت ومعه مهرها ، فخرج يسأل عنها ، فمر بخياط فقال :

« ياذا الناصح ، وذات السم الطاعن بها في غير وغي لغير عدى ، هل رأيت الخيفانة القباء ، يتبعها الحاسن المسرف ؟ كأن غرته القمر الأزهر ، ينير في حضره كالحلب الأخضر ، فقال الخياط : اطلبها في ترلج . فقال ويحك ، ما تقول ؟ تبحك الله . فإني ما أعرف رطانتك ! قال الخياط : لعن الله أبغضنا لفظا ، وأخطأنا منطقا !! فينبغي ألا يصوغ الأديب كلامه في قالب من غريب الكلام ونادره إلا عند من يفهمه عنه ، ويتقبله منه .

فإن استعمال الغريب لا يعاب على العرب ، لأنه لم يكن عندهم غريبا ، ولا لديهم وحشيا بل شائعا بينهم ، دائرا على ألسنتهم في نظمهم ونثرهم ، وأعظم شاهد لاستحسان استعماله عندهم ، ووضوح منهجه لديهم ، أن القرآن الكريم الذي هو أفصح كلام ، وأبهج لفظ قد اشتمل على ألفاظ من ذلك . كقوله تعالى « ويزدفون من كل جانب دحورا ولهم عذاب واصل » واصل أى دائم

وقال تعالى (إن الإنسان لربه لكنود) أى كفور لنعمته ، وما أشبه ذلك . وهذه الألفاظ كانت مبهومة عند العرب ، معلومة المعاني عند المخاطبين ، لأن الله تعالى قد خاطبهم به ، وأمرهم فيه ، ونهاهم ، والخطاب بما لا يفهم بعيد . وقد ورد في الأخبار النبوية جملة مستكثرة من ذلك ، وهى المغير عنها بغريب الحديث كقوله ﷺ (أظفوا بي إذا الجلال والإكرام) أى الزموا هذه الدعوة وأكثروا منها .

الشرح . الناصح الخيط والناصح الخياط - وذات السم الأبرة ذات الثقب - الخيفانة : القوس الطويلة - القباء : الدقة الخصر ، الضامرة البطن - الجاسن من حسن يحسن - المسرف : المنعم . الحلب الأخضر - البرق الذى لامع فيه يضرب به المثل فى السرعة ، ، ومنه حديث ابن عباس كان امرء من البرق الحلب ، وإنما شبه بالسرعة لحفته لخلوه من المطر - والأخضر : العقيق العين - وترلج كلمة لا معنى لها وإنما قصد بها التهمك .

وكتوبه صلى الله عليه وسلم (ويل لأفئاع القول، ويل للمصرين) غنى به، الذين
 يكثرون استماع الأقوال، واختلاف الكلام، فيكون ذلك ثلماً لدينهم، وقادحا
 في يمينهم، فثبته عليه السلام آذانهم بالأفئاع التي يفرغ فيها ضروب القول إفراغ
 المائعات، وهذه من أحسن العبارات عن هذا المعنى؛ لأن الآذان هي الطرق التي
 يوصل منها إلى الصدور، والأنقاب التي يدخل منها على القلوب، فهي أبواب
 موصلة، وطرق مبلغة.

عبد الوهاب محمود

للبحث بقية

القصص

معناه ، أنواعه ، شروط جودته ، نماذج منه

للمؤلف محمد سعيد العربي

القصص في اللغة : تتبع الأثر ، وإعلام الخبر ، والرجوع على الطريق ،
وفي القرآن الكريم : « فارتدا على آثارهما قصصا » : أي رجعا من الطريق
الذي سلكاه .

وقص الحديث : روايته على وجهه .

والقصة : الأمر ، والحديث المكتوب .

ومن معاني القصص : البيان : قال تعالى : « نحن نقص عليك أحسن القصص »
أي نبين لك أحسن البيان .

وفي اصطلاح أهل الأدب : هو ذكر قول أو فعل ، حدثاً أو أمكن حدوثهما ،
أو هو حكاية حادث متحقق أو متخيل لا يبعد كثيراً عن حدود الحقيقة
والإمكان العقلي .

فليس ثمة فرق كبير بين الوضع اللغوي ، واصطلاح أهل الأدب في
في تحديد معنى القصص ، فهو عند هؤلاء لا يعدو أن يكون من رواية الخبر ،
أو تتبع الأثر ، أو الرجوع على الطريق ، ولكنه في التحديد العرفي يزيد على
معناه اللغوي عنصراً جديداً : هو النسخ بحكاية حادثة متخيلة ، لا تبعد كثيراً
عن حدود الإمكان العقلي ، وبمقدار الفرق بين المعنى الوضعي لكلمة (القصص)
وبين معناها عند أهل البيان ، نجد الفرق نفسه بين القصة في العربية لأول
عهدا ، وبينها في الأدب الحديث ، فما كان عند العرب ولا فيما أثر من آدابهم
قصص موضوع أو متخيل ، على الوجه الذي يعنيه أهل الفن بكلمة القصص .

على أن المحدثين من أدباء العرب كانوا يطلقون على هذا الضرب من فنون الأدب : اسم الرواية ، وإن تكن كلمة (الرواية) بمعناها اللغوي هي أعم مما تعنيه كلمة (القصص) في الأدب الجديد ، فكل حديث متناقل هو رواية عند أهل اللغة ، فنه رواية الشعر ، ورواية الحديث ، ورواية اللغة ، ورواية التاريخ وأخبار السلف ، ومن هذا المعنى الأخير جاء إطلاق كلمة (الرواية) على معنى (القصص) مع تخصيص من ناحية ، وتوسع من ناحية أخرى ، أما التخصيص ، فمن إطلاقها على هذا الضرب بخصوصه من دون أنواع الرواية ، وأما التعميم فمن التوسع في استعمال كلمة (الرواية) حتى تشمل كل متخيل ممكن ، وإن لم تكن له حقيقة في ماضى التاريخ ، بل إن هذا التوسع نفسه جديد في التعبير الأدبي ، نشأ منذ قريب ، حين اتجه بعض أدباء العربية في دراساتهم إلى الموازنة بين الأدب العربي ، وآداب اللغات الأخرى ، فوضعوا لهذا الفن أول ما وضعوا : اسم الرواية .

قلت : إن وضع كلمة (قصص) أو (رواية) على هذا الفن من فنون البيان ، كان يوحى به ماضى العربية ، والمأثور من آدابها ، فلم تكن القصة الموضوعة أو المتخيلة معروفة عند العرب ، ولا هي كانت فنا من فنون منشئهم وأدبائهم ، وإنما كانوا يروون من مثل قصة مجنون ليلي ، وعنترة ، والزباء ، وجذيمة بن الأبرش ، وسيف بن ذى يزن ، وغيرها ، على أنها حوادث من حوادث التاريخ ، وأخبار السلف ، وما أنكر أنها كانت في أولها كذلك ، أو شيئاً يشبه ذلك ، ثم تداوواها الرواة منهم بالزيادة ، والمبالغة ، والتحوير ، وزادوا فيها على الحقيقة ما زادوا ، حتى اقتربوا بها قدرأ ما - مما نسميه القصة في الأدب الحديث ، على أن روايتها لم يتناقلوها ليرووها من بعدهم من أهل الأدب ، وطلاب التاريخ ، إلا على أنها لون من حكاية ما كان ، فيقصها القاص منهم ، وهي عنده حقيقته من حقائق التاريخ ، توارثها جيل عن جيل بالرواية ، ومن ثمة جاء إطلاق اسم الرواية عليها ، غير ملحوظ فيه معنى من معانى الفن ، ولا منظور فيه إلى أن في إطلاقه توسعا في المعنى اللغوي ، أو تحديدا لاصطلاح جديد في الأدب .

ما هو الأدب

وما أعنى بهذا الذى أزعج ، أن الخيال العربى ، أو العقل العربى ، كان قاصراً عن استنباط القصة ، أو حبكة عقدها ، أو التفنن فى خلق حوادثها ، وتسلسل أنبائها ؛ فالحقيقة أن العرب فيما خلفوا لنا من تراثهم الأدبى ، قد برهنوا أن لهم خيالا بعيد الشأو ، وفطرة قصصية بارعة ، ولكنهم لم يستخدموا هذا الخيال ، ولم يثمروا تلك المواهب البارعة فى صناعة القصة ، فسبقهم غيرهم من أدباء الأمم الأخرى إلى إنشاء هذا الفن ، ثم زاد الخلف على ما أنشأ السلف ، وخلق وابتكر ونوع ، حتى صارت القصة عندهم إلى ما صارت إليه ، فناله ضوابط وحدود ، وقواعد مرسومة ... وظالت عندنا على ما تلهمه الفطرة ، وما توحى به الطبيعة ، وما يمل به الخيال ، بلا ضوابط ، ولا قواعد ، ولا حدود .

بلى ، إن فى الأدب العربى القديم لمآثورات بارعة ، يمكن أن تكون نوبات لقصص مطولة لو وجدت من يحكيها على أسلوب القصة ، ويلتزم ضوابطها الفنية . نوبات لو تذهبنا لها لوجدنا معينا لا ينضب ، كان حربا بأن يمدنا بالمدد بعد المدد ، لننشئ فى العربية فناً جديداً من غير أن نقطع الصلة بين ماضينا وحاضرنا فى التاريخ الأدبى ، وبمثل هذا تحيا الآداب العربية وتتجدد ، من غير أن نكون مضطرين إلى الاستعارة أو الاستجداء من أدب الغرب ، والجرى فى غبار كتابه وشعرائه :

بل إن العرب الأولين قد عرفوا الأسلوب الرمزي فى القصص قبل أن يعرفه أدباء أوربا ببضعة عشر قرناً ، من شام فليقرأ حديث الإسراء والمعراج ، أو قصة الفتية الثلاثة الذين خرجوا للحج فأظلم الليل ، فأووا إلى كهف يديون فيه حتى يتنفس الصبح ، فتدحرجت صخرة من أعلى الجبل ، فسدت عليهم باب الكهف ، فأخذوا يضرعون إلى الله بذكر ما قدم كل منهم من عمل صالح .. هذان الحديثان وأضرابهما كثير فى الأدب القديم ، هما نمط عال فى الأسلوب الرمزي لم يهتد إلى مثله أدباء أوربا إلا منذ قريب .

لو أنه كان من وكندى أن أتحدث عن القصص فى الأدب العربى لوجدت مجال القول ذا سعة ، ولكن ذلك شئ لست أرانى فى حاجة للحديث إليكم عنه ،

وكلكم أقدر عليه، إنما يعني أن أتحدث عن القصص باعتبارها فنا من فنون البلاغة، ولونا من ألوان الأدب، فسأتحدث عنه من هذه الناحية وحسب، وبحسبي أن أقول لمن يذكر على العرب أن لهم قدرة على القصة، وخلق الرواية وإنشاء المحاور، بحسبي أن أقول له لا تصح زعمه؛ إن العرب قد عرفوا القصة ووجدوا القدرة عليها، وتهيأت لهم أسبابها، ولكنهم لم يعالجوها، ولم يعنوا بها، فظالت القصة عندهم خيالا وطبيعة وفطرة، ولا شيء غير ذلك، على حين كان القصص في آداب الأمم الأخرى صناعة وقواعد مرسومة، وذلك كل شيء. ومعذرة من هذا الاستطراد، ولنعد إلى ما نحن بسبيله.

قلنا إن أدباء العربية إلى عهد قريب، كانوا يطلقون اسم الرواية على معنى القصص، ولكن بين القصة والرواية في اصطلاح أهل الفن لعصرنا هذا فرقا سييين فيما بعد، عند الحديث عن أنواع القصص.

بالتعريف الذي انتهينا إليه في تحديد معنى القصص، تنوارد على الذاكرة كل فنونه وأنواعه، من المثل، إلى الأقصوصة، إلى الحكاية، إلى القصة، إلى المقامة، إلى الرحلة، إلى الرواية.

ولكل نوع من هذه الأنواع، حد يعرف به ويتميز، وشروط يحد بها عند الأدباء، ويوزن بها عند النقاد.

وليس يعني في هذا الحديث أن أبين أي هذه الأنواع كان أسبق إلى الظهور من سائرهما، بمقدار ما يعني الحديث عن كل نوع، بما يرسم له صورة توضيحية تعين على تمييزه بما على عداه.

المثل :

للمثل في العربية معنيان : الأول هذه العبارات المتوارثة التي نستعيرها لتشبيه حال بحال من مثل قولنا : الصيغ ضيغت اللبن . وسبق السيف العذل . ولو ذات سوار لطمتني . ولنسم هذا النوع : المثل التعبيري ، وهذا لاسبيل لنا إليه ، فليس بينه وبين القصة صلة من قريب ولا من بعيد .

الثاني : هو رواية حادثة محتلفة لا حتمية لها في الظاهر ، تورد على السنة الحيوانات والجمادات وغيرها ، مضمنة حكمة أو مغزى ، من مثل ما روى ابن المقفع في كناية ودمعة . وهذا النوع هو الذي يدخل في بابنا ، وهو النوع الفطري الأول من أنواع القصة ولنسمة المثل الحكائي . ويأتي المثل الحكائي على أنواع :

يمكن الحدوث عملا ، ومستحيل ، ومختلط :

فالمثل الممكن هو مانسب فيه الحديث أو الحادثة إلى ذي عقل (مثال) والمستحيل هو ما جاء فيه الحديث على السنة العجاوات ، معزوا إليها النطق أو العمل ، للتعليم ، والإرشاد ، والموعظة ، أو للتهكم والسخرية (مثال) والمختلط ، ما جرت الحادثة أو الحديث فيه بين ذي عقل وأعجم (مثال) والفرق بين المثل الحكائي ، والمثل التعبيري ، أن الأول يدخل في نطاق عمل الأديب والمنشئ ، فكل كاتب أن يتكلم من الأمثال الحكائية ما يلائم موضوعه وغايته ، كما ينشئ رواية أو قصة ؛ ولكل مستشهد أن يستشهد به ، بلفظه أو معناه ، غير مقيد في روايته بنسق خاص ، أو بعبارة مأثورة .

أما المثل التعبيري ؛ فهو أثر أدبي متوارث ، بلفظه ، ومعناه ، ومضربه ، فلا يمكن التصرف فيه تصرفا لفظيا ولا معنويا ، يعبر عن المذكر والمرث ، والواحد والجماعة ، بلفظ واحد ، هو اللفظ الذي ضمنه كتابه ، أو جاء على لسان راويه .

والفرق بين المثل والحكاية : أن له مغزى حكيما سيق من أجله ، وأنه غير واقعي ، وإن كان بعض أنواعه قد يكون في حيز الممكنات العقلية . وإذا كان المثل الحكائي هو نموذجا أدبيا يسهل على كل أديب أن ينشئه أو يتصرف فيه ، كان حتما أن تكون لصناعته شروط تضمن جودته :

أ - أن يكون منسجما الأسلوب سهل الدلالة ، يؤدي المقصود منه إلى ذهن سامعه من غير أن يكدر ذهنه .

ب - أن يكون مع انسجام أسلوبه قسيرا موجزا ، لانه في موضعه من

الكلام - هو وسيلة لا غاية .

٣ - أن يبهج السامع بطلاوته ، ويفكه فكرته بهزل كلامه ، وابتكار معانيه ، ويضبط عقله في فهم الرواية المختلفة وفض مشكلها .

٤ - أن يورد بصورة محتملة ، وإن كان هو في ذاته مستحيل الحدوث ، ذلك أن المثل وإن كان مختلفا لاحقيقة له في الظاهر ، فلا بد له من بعض تشابه بالحقيقة ، ففي الضرب الذي ينسب فيه الحديث أو العمل إلى حيوان مثلا ، ينبغي أن نذكر ما يعرف الناس من صفات هذا الحيوان ، وعاداته وغرائزه ، ليكون حديثه أو فعله متطابقا مع ذلك ، وإذا نسب إلى جماد يجب أن نلاحظ عند اختراع المنزل ، الخواص الطبيعية لهذا الجماد ، فيكون حديثه أو فعله كأنه تعبير العناصر بلسان حالها ، أو السر المضمهر في خواص طبيعتها ، وهكذا .

٥ - ينبغي أن يكون للثل مغزى واضح يؤدي إلى المعنى الذي يعنيه منشئه من موعظة أو سخرية ، أو دعوة إلى شيء ...

وليس ضروريا أن يتأخر المغزى إلى خاتمة المثل ، وإن يكن ذلك شرطا رئيسا في سائر أنواع القصص ، فقد يسبق المثل مغزاه قبل حكايته ، ويكثر ذلك في أمثال كلية ودمنة :

... أضرب لك مثلا للطمع يؤدي بصاحبه إلى الهلاك ؟ وكيف كان ذلك ؟

قال زعموا ...

المقامة :

أما المقامة فهي لون آخر من ألوان القصص ، يعني فيه أول ما يعني ، بتجويد العبارة ، وأناقة الأسلوب ، وحشد الكلمات اللغوية ، والعبارات المأثورة ، حشدا يعين المتعلم على تحصيل اللغة ، ويظهر براعة المؤلف ، ومقدرته اللغوية . وأصل المقامة في اللغة : المجلس ، وهي في اصطلاح أهل هذا الفن : رواية لطيفة ، حسنة التأليف ، أنيقة التصنيف ، تتضمن نادرة أو نكتة أدبية ، وتقوم على عنصرين : الراوى ، وهو رجل كثير السمر والرحله ؛ وصاحب الخبر ، وهو رجل أديب فكه ، متشطر بارع التصريف في الأمور ، متمثل بين البلاد

في طاب الرزق ، يلتمس له وسائله ! متذكرا في كل زى ، فيتعالم ، ويتعارج ، ويتعالم ، ويتجاهل ، ويلبس لكل حال لبوسها ، وتقوم حوادث المقامة على لقاء الراوية وصاحب الخبر ، فيكون بينهما أمر من الأمر . فيرويه راويه ، منسوبا إلى صاحبه .

ففي مقامات الحريري : تقرأ في أول كل مقامة : حدثنا الحارث بن همام قال ... ثم ينسب ما ينسب من الوقائع إلى أديب مقاماته الذي يسميه أبازيد السروجي .

وفي مقامات بديع الزمان ، تقرأ المقامة من رواية رجل يسميه عيسى بن هشام ، يحكى عن أبي الفتح الإسكندري .

ومراتب المقامة أو أجزاءها الفنية ، هي أجزاء القصة نفسها ، كما ستحدث عنها بعد ، وهي العرض ، والتعقيد ، والحل ، ونزید عليها أنها تنحلي في خاتمتها بأبيات هزلية تنسب إلى صاحب الوقائع في المقامة ، الذي أسميته فيما سلف : صاحب الخبر .

وإذا كان المقصود في المقامة هو تجويد العبارة وعرض نماذج من الأساليب تدعى على التحصيل اللغوي ، كان أهم شروط جودتها ، هو العناية بالأسلوب في كافة مظاهره : من الكلمة ، إلى العبارة ، إلى المعنى ، بحيث يؤدي مؤداه على وجهه .

وتنسب المقامة في الغالب إلى مكانها ، أو إلى المروي عنه ، أو إلى بعض وقائعها ، فهناك « المقامة الحلبية » ، والمقامة الموصلية ، وهناك « مقامة القراد » ، أو « الصوفي » ، وهناك مقامة « الغازي » ، أو « الميت » ،

الرمز :

أما قصص الرحلات ، فهي أقرب أنواع القصص إلى الفطرة ، وتقوم على رواية ما يشاهده رائد من الرواد ، أو رحلة من الرحالين في سفر طويل ، وأوضح مثال لها في الأدب القديم ، رحلة ابن بطوطة ، وهو رجل خرج من

بلاده في المغرب ، ليؤدي فريضة الحج ، فما زال يحب ويضع ، وتتقاذفه البلاد ، وتزأماه الاقطار ، حتى طاف بأكثر المعمور من بلاد الدنيا في زمانه ، ثم عاد إلى وطنه بعد عمر طويل ، ليقص ما شاهد في رحلته من غرائب الناس ، والبلاد ، والجواء ، والطبيعة .

وأول ما يشترط لجودة قصص الرحلات :

- ١ - سهولة الأسلوب ، فإن حديث الرحلات من باب القصص الإخباري
- ٢ - التمكن في عرض المناظر ؛ بحيث يستطيع القاص أن ينقل قارئه إلى جو البلد الذي يتحدث عنه ، فيتابعه خطوة بخطوة ، وكذلك التمكن في تتبع الحوادث ، بحيث يكون بين الخبر وسابقه مشاكاة ، ما ، ولو مشاكاة عكسية ، بحيث تتداعى معنى إلى معنى وحادثة إلى حادثة . ويدخل في شرط التمكن ، التوزيع في الأسلوب ، مع الإبقاء على سهولته وفطريته ، بحيث لا تكون عبارته في وصف البلاد أو الحوادث المختلفة ، متشابهة مكررة ، تبعث السأم ، وتخلط صورة بصورة .
- ٣ - الإيجاز ، حتى لا يمل القارئ بالتطويل بذكر ما لا يعنيه ، فمثلاً إذا كان القطار هو وسيلته في السفر ، فليس حتماً أن يقول : قصدت إلى المحطة ، واشتريت تذكرة السفر ، واستأجرت حملاً ، ثم دخلت إلى حيث يقف القطار ، فاتخذت لي مكاناً . وهكذا مما يستغنى القارئ عن سماعه ، لأنه يعرفه بطبعه . إنما يقتصر على قدر الطاقة بذكر غرائب الأمور التي شاهدها . وإثبات ما جرى له من الوقائع الخارقة ، ونحو ذلك .
- ٤ - ألا يكتفى بالسماع في تحصيل عليه ، إلا أن يكون ذلك منسوباً إلى قائله ، ليميز القارئ بين مشاهداته ومسموعاته ، فيعرف الأخبار اليقينية والأخبار المشكوك في صحتها .

٥ - ألا يتزيد في حديثه بالمبالغة والتحويل ، لأن ذلك قد يحجب الحقيقة أو شيئاً منها .

وهناك نوع موضوع من قصص الرحلات ، لم يؤثر مثله عن العرب ، إلا في مثل قصة السند باد البحري ، إن صحت عريبتها في أصل الوضع . وهذا

كثير في الآداب الأوربية الحديثة، ويقصد به إلى أحدنا حتى العلم، أو التسلية، ويشترط في هذا النوع فوق ما قدمنا من شروط الرحلة : الإمكانية العقلية، وقد قدمنا الحديث عن معنى الإمكانية في حديثنا عن أنواع المثل

هذه الأنواع الثلاثة : المثل والمقامة، والرحلة . هي لون يتميز بمميزات مختلفة عن سائر أنواع القصص، وقد تحدثنا عنه بما يجزى، أما باقي أنواع القصص، فهو ضرب آخر له خصائص مشتركة . ينبغي أن نتحدث عنها جملة، قبل أن نأخذ في الحديث عن كل نوع بخصوصه .

تسمح لأنفسنا في التعبير قليلا، فنسمى الأنواع الباقية كلها بقصة، والواقع أنها كذلك فعلا، لا يفرق بينها إلا فروق يسيرة : في الشكل، أو في الكم، فالأقصوصة والحكاية والقصة والرواية كلها أسماء تشبه أن تكون مترادفة، لولا الفروق الدقيقة التي سنذكرها بعد، ويجمعها كلها تعريف واحد، هو :

ذكر حادثة وقعت في الحقيقة المحسوسة، أو في خيال القاص ودنياه الباطنة، المكونة من عناصر شخصيته ومزاجه ووجدانه ورغباته وأمانيه وآلام نفسه ونظراته إلى الكون، وما ادخر في الواعية الباطنة من عقله من مختلف الحوادث والصور والأحاسيس المتباينة .

يؤدي ذلك كله إلى قارئه في كلام منظوم نظما خاصا على طريقته الشخصية، مترسما في أدواته ونظمه قواعد الفن القصصي .

هذا التعريف، يشمل الأقصوصة، والحكاية، والقصة، والرواية، كما تخضع هذه الأنواع جميعها لقواعد محدودة، اصطلاح عليها أهل هذا الفن وتسمى مراتب القصة، أو عناصرها الفنية :

مراتب القصة :

كل نوع من أنواع القصة السالف ذكرها، يمكن أن يحتوي على خمسة

عناصر هي :

الدهليز ، والعرض ، والإرصاد ، والتعقيد ، والحل .
ويمكن في بعض القصص ، الاستغناء عن عنصرى : الدهليز . والإرصاد .
ولنبداً الآن في التعريف بكل عنصر من هذه العناصر . ولنضرب قبل ذلك
مثلاً نطبق عليه ما تذكر من القواعد :

هذان فتیان ، ربطت بينهما أواصر الصداقة في صدر أيامهما ، ثم شامت
الأيام أن يفترقا في باكر الشباب ، فتصورا صورة تذكارية ، ثم ضربت بينهما
الأيام من ضرباتها ، ومضى كل منهما في الحياة لوجهه ، ومضت سنوات ، فقرر
أن تكون عشر سنين أو أكثر من ذلك ، لقي كل منهما ما لقي في أثنائها ،
وتقلبتهما الحياة من تقلباتها ، فسعد هذا ، وشقى ذاك ، واقتقر واحد واغتنى
آخر ، واشتبهت مصالح بمصالح ، وتضاربت آمال وآمال ، وجرت الحياة مع
كل منهما على أسلوب ... واحت من رأس كل منهما ذكرى الماضي كله بما
كان فيه ، إلا جمرات خاية تحت الرماد في الواعية الباطنة .

وجاء يوم التقى فيه رجلان لقاء على غير ميعاد ، لا يعلم أحدهما عن ماضى
صاحبه شيئاً ؛ ونبتت بينهما نابتة ، وتضاربت بينهما أمنية وأمنية ، وتعارضت أهواء
وأهواء ، واشتجرت منافع ومنافع ، وتوقع كل منهما أمراً ومال إلى هوى
وجأة رأى أحد الرجلين على صورة يملكها الرجل الآخر ، فردته إلى ماضيه ،
وذكرته شيئاً غطى عليه النسيان من زمان ، وتعارف الصديقان عرفانا جديداً ،
ربط بين ماضيهما وحاضرهما وعرفا ... وتعانقا عناق اللقاء بعد فراق طويل ،
وانجملت بهذا اللقاء عقد الرواية عقدة عقدة وعادت الحياة تجري على سنتها
مع الأحياء .

هذه قصة اجتمعت فيها كل عناصر القصة غير الدهليز . فلنرد كل شىء فيها
إلى معناه لنبلغ ما نريد من المعرفة :

١ - فى أوائل هذه القصة كان فتیان من أمرهما كذا وكذا ، أو من صفاتها
كيت وكيت ، ومن أفعالها كان وكان ، وهكذا بما يعرف بهما التعريف الذى
يعين القارئ من بعد على تتبع أمرهما .. هذا هو الغرض .

٢ - قضت الأيام على الفتيين أن يفترقا بعد صلة طويلة فتصورا صورة... هذا هو الإرصاد .

٣ - فعلت الأيام بهما وفعلت ، وكان من أمر كل منهما وكان ، وكان ضيق وشدة ، ويأس وأمل ، وخوف ورجاء ، وحوادث وحوادث ... هذا هو التعقيد ..

٤ - وظهرت الصورة بينهما في وقت اشتباك الحوادث ، وتنازع المصالح ، وتضارب الآهواء ، واشتجار المني ، واصطراع الآهواء : فكف كغمت الحوادث من غلوائها ، وانحلت العقدة ، هذا هو الحل ..

فالعرض في القصة ، هو التروطة أو التمهيد بذكر أسماء الرواية ، والتعريف بأشخاصهم وطباعهم ، وبسط الظروف الزمانية والمكانية ، التي بدأ عندها موضوع القصة ، والإشارة إلى ما سبقها من عمل يتصل بموضوعها .

أوهو النكرة العامة المجملة عن موضوع القصة ، يتقدم بها الكاتب أول ما يتقدم ، ليهيئ الأذهان للحدث المنتظر ، ويشوق النفوس إلى المتأخر ، ويعرف الظروف والأمكنة والأشخاص .

وهذه المرتبة هي أشق مراحل العمل القصصي من حيث الأداء لأنها تتطلب مهارة فنية بالغة ، لنبعد المأل عن القارئ ، وهي أخرج إلى الكاتب البليغ من كل مراتب القصة . ذلك أنها في موضعها تشبه المقدمة فهي ليست من الموضوع . وليس للموضوع غنى عنها . لذلك ينبغي الدقة في معالجتها مع مراعاة أشياء ثلاثة . هي :

الإيجاز ، الوضوح ، السذاجة :

أما الإيجاز فليكن يمل القارئ ، وكلنا قد رأينا حين نقرأ قصة من القصص أن نفوسنا تكون متطلقة في شوق ، إلى ما وراء هذا التقديم الذي تبدأ به القصة ، فهو لا يعنينا لذاته ولا يشوقنا ولا يحمنا على قراءته إلا الحرص على ما بعده ، فإذا طال العرض وأطرب ، استشعرنا الملالة ، وقبرت الرغبة ، وكثيرا ما يكون طول العرض والإطباب فيه سببا إلى الانصراف عن قراءة القصة .

وهنا تظهر براعة الكاتب ومقدرته اليبانية، حين يطوي من الحديث وينشر، ويكتم ويورى، ويورد الخبر غير مرده، ويستعين في تعبيره بالايهام، والاستخدام، والنورية، والمجازسة اللفظية، ونحوها.

وأما السذاجة، فالمراد بها أن يكون أسلوب العرض طيعيا لا تكلف فيه ولا صناعة، إلا بمقدار ما يقتضيه الفن ليتحقق له أن يوضح الفكرة التي يبنى عليها موضوع القصة إلى حد ما.

انتهينا من العرض، فلنتظر في العنصر الثاني من عناصر القصة وهو التعقيد أو العقدة: وهو الجزء الذي يجد فيه القاص المجال الفسيح لخياله، وابتكاره؛ ونعني بالتعقيد المرحلة التي تشبك فيها الظروف، والوقائع، والمنافع، والمنازع والأخلاق؛ فينشأ عن اشتباكها الشك، والقلق، وفروع الصبر، ونزوع النفس، وتطلعها إلى طريقة الحل، وهي تتنقل بين الرجاء والخوف، وتتعقل بين الحزن والفرح.

وينبغي في هذه المرحلة، ألا تشبك الوقائع والمنافع مرة واحدة، بل يتدرج القاص في تعقيد الحوادث درجة درجة، حتى ينتهي به إلى نهاية ما، ثم يأخذ في التدرج نازلا حتى يباغ به الطريق الذي أعد فيه المفاجأة للحل.

وقد اصطاح أهل الفن على تقسيم هذه المرحلة إلى ثلاث مناطق: السفح أو الحضيض، والقمة، والمنحدر.

يشبه في ذلك من يصعد جبلا، فيبدأ من السفح صاعداً، فلا يزال يلتقي في طريقه مالم يكن يتوقع، حتى ينتهي إلى القمة وقد استفرغ جوده وآده مآلتي، ثم يأخذ طريقه إلى الجانب الثاني من الجبل، حتى يهبط إلى بطن الوادي. وإذا كان التعقيد في القصة هو أهم جزء فيها، بل هو القصة كلها بحوادثها ووقائعها، من ناحيتي الموضوع والكم - كان له شروط لا بد من مراعاتها لجودة القصة.

١ - أن تكون الحوادث بما يتداعى بعضها إلى بعض بلا كلفة ولا تصنع.

٢ - أن يراعى التدرج في سياقها بحيث لا تنزال النفوس صابية إلى فض
المشكل مراعاة بمعرفة الخاتمة .

٣ - أن يكون للكاتب من العلم بطبائع الناس في ظروف الموضوع
ما يهيئه إلى التصوير الذي ينقل القارىء من جو إلى جو ، فيسير في قراءتها
وكأنه يعيش بين أبطالها وعلى مقربة من زمانها ومكانها .

٤ - أن يتعد عن الفضول الذي يباعد بين أجزاء الموضوع ويحفر
بجرات تمنع تسلسل القصة تحت عيني قارئها . وهنا ينبغي أن يعلم القاص الذي
يدعو إلى فكرة ما من الإصلاح ، أن المحاورات ليست مرسماً ملائماً للدعوة
إلى الإصلاح وبيان أوجه الرأي فيه ، إنما وظيفة المحاور في القصة أنها وسيلة
من البيان في أقصر عبارة تصل بين رأى ورأى أو حادثة وحادثة مما يفيض
به موضوع القصة ، ولن يكون الحوار أبداً وسيلة إلى بث فكرة أو دعوة
إلى إصلاح إلا بقدر غير ملحوظ ولا مدرك في جملة . إنما يكون ذلك في
الحادثة لا في الحديث ، وفيما يحكى لافياً ينطق به .

ولقد يعرض للكاتب من خواطره وأمانى نفسه ومصورات خياله ،
ما يصعب عليه في موضع ما من القصة أن يغفله ، من معنى ، أو فكرة ، أو حادثة
تلج على نفسه ؛ فهنا ينبغي أن يحذر الكاتب أن يخدعه هواه فيذكر ما لا يقتضيه
السياق ويستترسل في خواطره ؛ فإن ذلك يوشك أن يفقد القصة وحدة الموضوع
ووحدة السياق ، وهما شرطان رئيسان لا تجرد القصة إلا بهما .

ولقد يعتمد بعض القصاص إلى استيفاء الوصف لحادثة ما ، حرصاً على
الصدق في التصوير ؛ فيدفعه ذلك إلى الإطناب بذكر ما لا يقتضيه الفن ، فينبغي
أن يكون في بال القاص أنه لا عليه في ترك ذلك إذا كان يخل بشرط الانسجام
فإن في كل قصة حوادث سلبية ليس من الضروري أن تذكر ، إذ كان موضوعها
يثب إلى ذهن القارىء من غير أن يلفته إليه مؤلف القصة .

٥ - السرعة مع التدرج ، والمقصود بالسرعة هنا : ترك الاستطراد ،
وطرح الفضول ، بحيث لا تضر هذه السرعة بالامكانية .

٦ - - مراعاة الامكان في حوادث الرواية ، ونعني بالامكانية أن يلبس القاص الحوادث الخيالية ثوب الحقيقة ، فيقرب ما بينها من الظروف ، ويمهد لها أسباب الوقوع ، حتى لا تتناقض مع العقل ، والعلم ، والعرف ، والتقاليد ؛ فلا تبعد القصة في بعض فصولها وحوادثها عن المؤلف في عصر الرواية وعادات أهلها في طبقاتهم الاجتماعية ، إلا أن يكون ذلك مقصوداً لتصوير حالة شاذة في مجتمع غير عادي ، وحينئذ لا بد من الايمان إلى هذا القصد ببراعة وتفنن في حواشي الكلام .

على أنه يشترط في الامكانية ألا تؤثر في حالة الشك التي ينبغي أن تلازم القارىء في المرحلة التي تسبق مفاجأة الحل ، لأن عقدة القصة إذا لم يكن لها إلا حل واحد يدل عليه المنطق ويتنبأ به القارىء فقدت القصة مزية التشويق .

٧ - وثمة شرط سابع يتصل بالأسلوب اليباني أكثر مما يتصل بالموضوع ؛ ذلك هو الرقة والتفنن في وجوه الكلام ، والقصد إلى التعابير التي تؤثر في القارىء .
رصد له الموضوع تصويراً بيانياً ، يوقظ حسه ، وينبه خياله ، ويجعل للفظ المفردة في ذهنه معنى تاماً ، ويحول الجملة الصغيرة إلى حادثة ومنظر .
الركن الثالث من أركان القصة ، هو الإرساد .

وهو أن يوصي القاص في بعض حديثه ، في إحدى مرحلتى العرض والتعقيد إلى معنى ، أو حادثة ، أو عادة ، تكون هي تمهيداً لطريق الحل ، بحيث لا تدل عليه دلالة واضحة ولا قاطعة ، وبحيث لا يشعر القارىء حين يمر به في موضعه أنه مقصود بالذكر لغرض ما ، وإلا استعجل القارىء الحل قبل أوانه ، فيفوته بذلك العنصران الرئيسان : التشويق والجاذبية .
وهذا الإرساد في القصة ، يشبه الإرساد البيديعى في الشعر العربى ، فقول
عنبرة :

ورمى كان دلال المنايا نخاض غمارها وشرى وباعا
... يشبه في تقديم كلمة (دلال) إرساداً لقوله (شرى وباعا) — يشبه قولنا
في القصة التي ضربناها مثلاً في أول هذا الحديث ، أن الفتيين تصوراً قبل انقراق ،

إرصادا لجعل هذه الصورة هي الحل ، أو بتعبير آخر ، إن هذه الصورة كانت إرصادا لقافية هذه القصة التي هي خاتمتها ومنحل عقدها .

ويشترط في الارصاد شرطان :

- ١ - أن يكون في موضعه بحيث لا يشعر القارئ أنه مقصود لغرض ما .
- ٢ - أن يكون بارزا بحيث يترك أثره واضحا في فكر القارئ ، فلا يمر به مرور العجلان فينساه قبل أن يأتي وقت الحاجة إليه . فإن كثيرا من القصص تفقد روعتها الفنية لسبب تافه ، هو ألا يحتمل القاص حيلته على أن يكون هذا الارصاد بارزا الأثر ، فيقتحمه الفكر والنظر ، حتى إذا آن أو انه ودعت الحاجة إليه عند تدوير الحل ، لم يكن منه في ذاكرة القارئ شيء ، فيسائل نفسه : متى كان هذا ؟ وقد لا يظفر بالجواب ، فيعود إلى القصة يقلب صفحاتها ، وتفوته بذلك لذة القراءة وسرور الخاتمة .

وهذا الركن - الارصاد - قد يستغنى عنه في كثير من القصص ، حين يكون أمره مشتهرا بما عرفه الناس وألفوه ، وحينئذ يصح أن يقال : إن الارصاد مضر ، فهو موجود ، ولكن في ذهن القارئ لا بين صفحات القصة .

بقي الحل : وهو الركن الأخير من أركان القصة ، وبه تنحل العقدة ، بزوال الخطر ، أو قضاء الوطر ، أو تذليل العقبة ، أو حلول الكارثة . واليأس إحدى الراحتين .

ويشترط فيه (١) أن يكون فجائيا بحيث لا يتنبأ به القارئ قبل أو انه ، وإلا زال الشك وبزواله يذهب التشويق والجاذبية .

- ٢ - أن يكون مرتبطا بما قبله ارتباطا وثيقا طبيعيا ، بحيث يقنع به العقل ، ويزول عنده الشك ، وتهدأ معه نوازع النفس .

... فالتنا أن نتحدث عن شيء ذكرناه من مراتب القصة ، وإن لم يكن من لوازمها : ذلك هو الدهليز : وهو تقديم يسبق العرض ، يتحدث عن الجو العام الذي بدأت فيه حوادث القصة وكان له أثر فيها ، ليوطئ للخبر ، ويقرب مأخذ الرواية .

مثال ذلك : قصة يراد بها رواية حادث وقع في مصر ، في أيام الثورة الوطنية ، سنة ١٩١٩ وكان له أثر فيها ولها تأثيره . فهذه القصة ، لا بد لإيضاحها من تقديم الحديث بقدر ما عن شيء من التاريخ يصنف ما كان في تلك الأيام ، حين بدأت حوادث القصة ، على أن يقتصر القاص في ذلك على ماله صلة بموضوع القصة ، بحيث لا تطيب إلا به ، ولا تحسن إلا معه .
وبديهي أن هذا الدهليز ، ليس جزءاً حقيقياً من القصة ، ولكنه ترشيح لها ، وفرش للحديث عنها ؛ ومن ثم يستغنى عنه إذا كان سياق القصة يدل عليه ، أو كان جزؤها معروفاً بحيث لا يستدعي تعريفاً به .

بهذا العرض الموجز ، نستطيع أن ندرك صورة توضح لنا أجزاء القصة إلى حد ما ، ولو أنني وجدت سعة من وقتي ومن وقتكم ، لأوردت لكم بعض الشواهد التطبيقية المختلفة لتتبع هذه الأجزاء والتعرف إليها ، ولكن يغني عن ذلك يقيني بأنكم لستم في حاجة مني إلى ذلك ، فكلكم ، ولا أستثنى ، قد قرأ من القصص المختلفة جملة تعينه على ذلك وحده .
على أنني أحسب أن البرامج الجديدة في اللغة العربية لم توص بدراسة القصص إلا قصداً إلى ناحيتين : الأولى أن تضع تحت عين التليذ ما يمكنه من وسائل النقد ، والنقد إنشاء سلبى يأتي في المرحلة الثانية...
والناحية الأخرى هي أن تهيب للنشء العربي الوسيلة إلى صناعة القصة ، باعتبارها لونا من ألوان الأدب الجديد له خطره ومقداره ؛ بل لا أجدني غالباً في القول إن زعمت أن القصة سيكون لها في مستقبل الأدب الأسمى عامة ، والأدب العربي خاصة - شأن ، يحمل ماعداه من ألوان الأدب الأخرى ، ويطغى على أدب المقالة ، وأغراض الشعر ، وفنون النثر وغيرها من وسائل البيان . فالقصة هي الحيلة البارة التي تستطيع بها أن تاج إلى كل نفس ، في كل غرض ؛ لذلك لا يكفيني في الحديث عن القصص هذا القدر ، وحسبي أن يكون ذلك

مقدمة لأحاديث أخرى ، وبأكورة لبحوث ومحاولات في معالجة القصة ، من ناحية النقد ومن ناحية الانشاء

فإن كان هذا هو ما قصد إليه واضع هذه البرامج ، فإنه يعينني هنا أن أنبه إلى أن دراسة قواعد القصص وأنواعه وشروط جودته ، لا تجزى وحدها لتكوين الناقد . أو لتكوين القاص الموفق ، إنما يجزيه ذلك حين يسبقه مطالعات طويلة متوالية لنماذج من القصص في ألوانه المختلفة ؛ ويده من ورائه فطرة قصصية موهوبة وخيال بارع .

إن القصص عمل وعمر ، متشعب المسالك ، مشتبه السبل ، يستلزم وسائل كثيرة لا تتأتى إلا بعد جهد ومعاناة ووقت طويل .

ولاني على يقين بأن بحثي هذا - على إيجازه وسداجته وسهولته - لو ألقته في غير هذه الجماعة من أهل العلم ، على رجل لم يجمل للقصص بعض الوقت من مطالعته اليومية الرتيبة ، لما أفادته شيئاً أكثر مما يفيد تلميذ لم يقرأ كتاباً واحداً في العربية ثم سمع درسا من دروس البلاغة العربية في الاسناد ، أو في الإيجاز والاطناب .

وأعتذر ثانية من هذا الاستطراذ ؛ الذي يدعوني إليه رأي في هذه البرامج الجديدة لا أجد عندي لأصرح به مثل شجاعة الاستاذ عبد الوهاب حمودة في محاضراته عنها في الأسبوع الماضي ...

وحسبي أن أسأل سؤالا : هل أعد الذين وضعوا هذا البرنامج عدتهم له وأرصدوا له وسائله ؟

هل وضعوا بين يدي التلميذ الذي يريدونه على أن يدرس القصص على أنه فن من فنون البلاغة ولون من ألوان الأدب - طائفة من القصص المختارة في سني دراسته السابقة ، تعينه في الدراسة التوجيهية على فهم قواعد القصص ، وأنواعه ، وشروط جودته ؟

سؤال يعرف جوابه كل مدرس منكم . ويعرف ما وراءه ؛ يعرف أن هذه القواعد الجديدة التي يريدون التلميذ على دراستها سيؤول أمرها في النهاية

إلى أن تكون قواعد للحفظ والتسميع ، لا وسائل إلى الانشاء الصحيح في الأدب ، أو النقد الصحيح لفنون الأدب .

بعد هذه الوقفة الصغيرة ، أعود إلى الموضوع الأصلي ، لا نتحدث إليكم عما أجملت الحديث عنه من أنواع القصص ؛ للتمييز بين الأقصوصة ، والحكاية ، والقصة ، والرواية ، ولكن عقرب الساعة يدور ، والزمن المحدود لي قد أوشك أن ينتهي ، وما يزال في الموضوع عناصر تستدعي الاسهاب ، وتقضى الايضاح والبسط ، فمأجل بقية القول في كلمات .

ليس هناك فرق بين الأقصوصة والقصة ، من ناحية الموضوع ، ولا من ناحية الكيف ، ولا من ناحية الشروط الواجب استيفائها في كل منهما ، وكل ما بينهما من فرق ، هو في الكم والمقدار ، فالأقصوصة صورة مصغرة من القصة في كل مراحلها الفنية ، ولكنها بموضوعها ، وحادثتها ، عمل صغير تتابع مراحلها الفنية في إيجاز وسرعة ، وإذا كان التعقيد في القصة مركبا ، فانه في الأقصوصة بسيط ، يدور حول حادثة بعينها ، وعمدة واحدة تنتظر الحل .

على أن عمل الأديب في الأقصوصة هو أشق وأصعب من عمله في القصة فهنا تتركز الحوادث ، وتتوالى الخطوات في سرعة لا تؤثر في الامكانية ، ولا تذهب بالشك ، فهي خفقة نفس وتنتهي ، ولكنها مع ذلك خفقة واحدة تنفعل بها النفس وتتلون بكل الصور الوجدانية الممكنة ، من خوف ، وأمل ، وإشفاق ورحمة ، وشهوة ، وهوى . وهو عمل عسير أن تحتشد كل هذه الاحاسيس في حادثة واحدة ثم تنتهي إلى نهايتها بالحل الموفق في قدر صفحتين أو ثلاث من صفحات الكتاب ؛ ولنوضح الفرق بين القصة والأقصوصة بمثال فطرى ساذج :

هذا قتي ورث الغنى والمال عن أبيه ، فأسرف ، وبدد ، وانطلق في شهواته إلى آخر حدودها ، حتى جاء يوم يوشك أن يطرد فيه من داره التي بيعت بالمزاد ، وفي لحظة اليأس الاليم ، جاءه المنقذ في صورة صديق من أصدقاء أبيه كان أسدى إليه يدأ في يوم من الأيام فسد دينه ، وأقره في داره ... هذه الأسطر ، على هذه العمورية ، هي أقصوصة ، فيها العرض ، والارصاد

والتعقيد، والحل. فلو تناولها كاتب من الكتاب، وأخذ في تعقيد حوادثها منذ زين للفتى شيطانه أن يسرف ويبدد... واسترسل في خياله يخلق الحوادث، ويعقد المشاكل، ويطوف بالفتى البلاد، ويزين له الآمانى، ويصطنع في طريقه العقبات، ويجمعه إلى ناس وناس، وإلى رجال ونساء، وزوجه واستولده، وخرج به من مازق ليضعه في مازق... وساربه كذلك من طريق إلى طريق، ثم انتهى به هذه النهاية نفسها، في موقف اليأس الأليم، صفر اليدين، محطم الآمال، عن يمينه وشماله شهوات وآمانى، وأمامه ووراء أهواء وأغراض؛ وفي هذه اللحظة، لقيه إنسان نبيل الخلق، جم المروءة، مبسوط اليد، واسع المعروف؛ فأخذ يمهده سبيله خطوة خطوة، ويوقره كل يوم بحميل، ويتحنن عليه كل فترة بمعروف، حتى استقامت للفتى حياته، وطالت يده، وطابت نفسه، ولكنه ما يزال في هم ينغص عليه ويوقر ظهره، لأنه لا يجد ما يستطيع به وفاء أيادى هذا المنقذ، ويشعر بمعروفه غلا في عنقه وعبئا على كتفيه، وتثور به كبرياؤه الموروثة، وتأتى عليه أن يحمل هذا الدين الفادح فلا يستطيع وفاءه. وينفعل وجدانه وتضارم أحاسيسه، وتتعد حياتاه تعقيدا جديداً في داخل النفس، حتى تبلغ به مرتبة اليأس في حال عصية شديدة... حيثئذ يعلن إليه منقذه من يكون...

لو أن كاتباً من الكتاب تناولها بهذا البسط، وعقدها هذا التعقيد المركب لكانت قصة.

أما الحكاية، فهي أخت الأقصوصة ومساويتها في الكم، ولكنها تختلف عنها في الموضوع؛ فإن العنصر المتميز فيها هو الخيال البكر، والاختراع العجيب؛ ويكون المقصد فيها إلى النسلية والإغراب في التشويق وخلق الحوادث أكثر مما ترمى إلى التصوير أو الموعظة أو التعليم؛ ومن ذلك كان أكثر أبوابها الخرافة. ومنها الأحداث التي تروى العامة.

وتأتى القصة بعد ذلك، ونواتها الأقصوصة كما سبق، وتتميز عنها بكثرة ألوانها، وازدحامها بالحوادث، وتناولها الموضوع من قريب ومن بعيد،

بتسلسل التعقيد فيها وتركيبه ، وإحاطتها بكل ما يتداعى لموضوعها من المشاكل ،
فهي تتبع حياة البطل وأعماله جميعاً ، وصلاته بالناس ، ومشاكله المختلفة ، وعلاقاته
بكل ما يحدث في يومه ، وهي بذلك تشبه أن تكون تصويراً تاماً له ولحركاته
العملية المحسوسة والفكرية المضمرة في طوايا نفسه ، في الفترة التي تجري فيها
حوادث القصة جميعاً ، على خلاف الأفعوصة التي لا يعينها من حوادث بطلها
إلا ما يتصل بموضوعها الواحد الذي تعالجه .

ولا تختلف الرواية كثيراً عن القصة ، وكل ما بينهما من الفرق : هو أن
القصة توضع لتقرأ أو تحكى ، أما الرواية فتؤلف لتمثل على المسرح أو في الخيالة
ولذلك يقوم تأليفها على الحوار .

ولكل من القصة والرواية أنواع ، أدع الحديث عنها إلى فرصة أوسع ،
لأن الحديث فيها يطول .

وأكرر الشكر لكم على ما تجشتم من السعى إلينا ، وما ضيقت من الوقت
لسماع هذا الحديث ، ولعلني إن رافكم هذا البحث ، أن أعود إلى إتمامه بعد
جمام لتفصيل ما أجمت من عناصره ، إن أذتم لي وأوليتموني شرق المحاضرة

محمد سعيد العربي

إعداد المعلم

صورة المذكرة التي رافقتها جماعة دار العلوم إلى معالي وزير المعارف
برأيها في إعداد المعلم ، منذ قريب المنازعة خريجي دار العلوم حقهم
في الاستقلال بوظائف مدرسي اللغة العربية

تسير الشعوب والجماعات على النهج الحديث في توزيع الأعمال العلمية والفنية
على ذوي الكفاية ، الذين أعدوا أنفسهم للتيايم بأعبائها ، واكتسبوا الخبرة
بمزاوتها : فللمهندس خططه ، وللطبيب مهنته ، وللقاضي قوانينه وأحكامه ، وللمعلم
طرقه وأساليبه التي تشحذ العقل ، وتقوم الخلق ، وتتمى الجسم ، وتعد الفرد
للحياة .

ولكل ناحية من النواحي ذات الشأن في الحياة العلمية والعملية رجال
اختصوا بها ، ووقفوا حياتهم على النهوض بأعبائها ، ولاند تشعب الاختصاص
حتى شمل الفروع المختلفة في كل علم وفن ، وأصبح لكل فرع منها رجال لهم
إلمام بديقائمه ، وخبرة بحل معضلاته ، وتلك هي سنة الحياة الحديثة : يختص بكل
مهنة رجالها ، ويتصدى للأعمال ذات الشأن في الأمة من يجيدها .

ولقد سارت مصر على هذا النهج في التعليم وبشئونه بخطوات متدرجة ،
وعرفت للمعلم الفنى قدره ، وأثره ، فحرصت في نهضتها الحديثة على الاهتمام
بإعداده على أقوم الطرق ، بعد أن كانت مهنة التعليم شائعة ، وميدانها مباحا ،
يمرح فيه أخلاط تتفاوت ثقافتهم ، وتحصيلهم ، ونشأتهم .

حقا إن مهنة التعليم — من بين المهن الفنية — قد صادفها سوء الحظ ، فكانت
مرتعا لكل من حدثته نفسه بالتفكير في مورد للارتزاق ، وكان كل من أنس
من نفسه متدرة على القراءة والكتابة ، يستطيع أن يكون من رجال هذا
الميدان أو فرسانه ، ولا تزال لهذه الحال بقية في بعض أنحاء البلاد .

والى جانب هذا لم يكن من يتصدى للتعليم يحفل بشيء غير التلقين ، وشحن
الأذهان بما يلقيه ويمليه ، ولم يكن هناك شأن للنشئة الصحيحة للتعلم : من

الوجوه العقلية والخلقية والجسمية والاجتماعية ، بل كانت الغاية هي الحقائق دراسة وتدرسا .

مضت تلك الفترة من حياتنا التعليمية على طولها ، ثم اتجهت المهمة إلى النهوض بالمعلم وإعداده إعداداً يساير ما للتعليم الصحيح من مكانة في رقي مصر ، وخير أبنائها .

وقد سار ذرو الشأن ورجال التعليم في هذا السبيل ، ورائدهم تلك الحقيقة الثابتة ، وهي أن إعداد المعلم الصالح له أثره في إعداد الجيل الصالح وقوته في إنهاض البلاد في شتى النواحي ، وله في رخاء الشعب وتقدمه وحنن همته ، وترقية حياته ، شأن عظيم .

ولا تزال البلاد تتابع خطوات الإصلاح في إعداد المعلم ، وترقب أن تصل في هذا الصدد إلى أقوم الطرق المؤسسة على القواعد السليمة ، التي تهدينا إليها تجاربنا في الماضي ، وتجارب المربين في أنحاء العالم الحديث . وسنكمل القول في هذا الموضوع ، ووجهتنا أن ندلي بما نرجو أن يوصل إلى الخير والإصلاح .

يقوم إعداد المعلم على الدعائم الآتية :

- (١) ثقافته العامة الشاملة .
- (٢) استعداده في مادته .
- (٣) استعداده في طريقته .
- (٤) استعداده في شخصيته .
- (٥) إعداد البيئة التعليمية الصالحة لنشأته .

(١) ثقافته العامة :

والمعلم كغيره من طوائف المتقنين يجب أن يلم بقدر صالح من المعلومات

العامة الشاملة ، تمكنه من فهم الحياة فهما يشحن عقله ، ويوقظ مواهبه ، ويوجه همته توجيها صالحا ، ويجعل الصلة وثيقة بينه وبين طوائف المتعلمين ، ويمكنه من فهم ما يحيط به ، وما يمر من شئون المجتمع الذي يعيش فيه .

ولسنا في حاجة إلى تفصيل ماتجب دراسته في هذه المرحلة ، فقد تكفل رجال التعليم بالبحث فيها بحثا لا يزال قابلا للتعديل ، على حسب ما تهدي إليه التجارب ، وللتجارب شأنها في جميع مرافق الحياة .

وتجىء بعد هذه المرحلة مرحلة أخرى لها وجهتان : وجهة تكوينية ، ووجهة إعدادية . أما التكوين فسيكون أن يستزيد الطالب من المادة أو الموارد التي أعد نفسه لدراستها ، ويمرن على أساليب البحث والاستفادة .

وأما الإعداد فذلك بأن تتحور به ناحية التعليم ، وما يجب أن يتوافر في المعلم من صفات ، فتتم في حب النظام ؛ ونخب بر مافيه من ميول ؛ لنستوثق من استعداداته لمهنة التعليم .

(٢) استعداده في مادته :

ولكل فرع من فروع التعليم مواد خاصة يجب أن يلم المعلم بها ، ووسائل للتعلم فيها والاستزادة منها . فلا أداب طريقها ، وللعلوم منهجها ، وللرياضة مثل ذلك ، وللغات وسائلها ، ولكل ناحية من النواحي وسائل للدرس والتحصيل ، فلنترك هذا لرجال المختصين به .

ولكننا نريد أن نشير إلى حقيقة لا بد منها في إعداد المعلم في مادته ، وهي أن نهتم إلى جانب تزويده بالمادة تزويدا شاملا وعميقا ، بأن نغرس فيه حب البحث ، والرغبة في التحصيل ، والقدرة على استنباط الحقائق الصحيحة من مصادرها ، وعلى تنظيمها تنظيما يوافق عقول المتعلمين في مراحل حياتهم ، وعلى تتبع ما يجد في ميدان العلم والفن والانتفاع به .

(٣) استعداده في طريقته :

وللطريقة أصول تركز عليها ، ووسائل تنهض بها ، وهي في مجملها ترجع

إلى شعبتين : أولاهما الدراسة العلمية للتربية وأصولها ، والثانية التمرين العملي .
 أما التربية وأصولها فقد سارت معاهد التعليم المصرية فيها سيرا متدرجا ،
 وفقا لسنة النهوض ، واتسع ميدان البحث ، وتشعبت فروع التربية ، وتاريخها ،
 وعلم النفس ، وشملت التجارب العملية ، وأدخل كل ذلك في مناهج إعداد
 المعلم ، وأصبح لزاما أن يلم المعلم بعلم النفس العام ، ودراسة الطفل ، والتربية
 النظرية ، والتجريبية ، وتاريخ التربية ، وتدرج مذهبها ، والتربية المقارنة ، وأصول
 التنظيم المدرسي ، وعوامل الحياة الصحيحة في المدارس ، وغير ذلك مما ينهض بالمعلم
 وبأساليبه ، ويضع للتعليم الصحيح دعائم قوية متينة .
 وأما التمرين العملي فقد أصبح لا بد منه لكل مهنة ، وهو لمهنة التعليم الركن
 المتين .

(٤) استعداد في شخصيته :

ومرجع ذلك ناحيتان : ناحية فنية ، وناحية خلقية .
 (أ) فأما الناحية الفنية فأساسها القدرة على الإبانة في دقة ووضوح وجودة
 إلقاء وحسن تصوير ، والاستعداد لمسيرة عقول المتعلمين ، والتدرج في عرض
 الحقائق في هواة وجودة حوار .
 (ب) وأما الناحية الخلقية فأساسها : حب الحق ، وحب الخير ، وسلامة
 الذوق ، وأن يكون الميل إلى الحق وإلى الخير ثابتا في قرارة النفس .
 وإلى جانب هذا هدوء الطبع ، والبعد عن الغلظة ، والترفع عن دنى الأمور
 وسفاسفها ، والاعتزاز باحترام النفس .
 وليست هذه الصفات بما يسهل توافرها في كل إنسان ، فمن الناس من حيل
 بينهم وبينها ، أو بين بعضها بفطرتهم أو نشأتهم .

فعلى القائمين بشؤون التعليم إذا أرادوا الخير للوطن وأبنائه أن يولوا إعداد
 المعلم عنايتهم من هذه النواحي التي أجمالناها .
 وقد يكون من اليسير أن نصل إلى ما ننشد من حيث إعداد المعلم : في مادته

العلمية، وفيما يدرس من القواعد النظرية والعملية للتربية وفروعها. فالمادة أساتذتها الذين ألموا بدقائقها، وللتربية وفنونها رجال لهم من دراستهم وواسع تجربتهم ما يمكنهم من وضع الأسس الصالحة لدراسة ما يجب أن يلم به المعلم، والأمل عظيم في أن يشر سعيهم، وأن يكون لأرائهم وما يقترحون شأن يجعل التربية ودراستها محل عناية في البلاد.

نقول إن الأمل عظيم في هذا وفي إحلال علوم التربية المحل اللائق؛ ليكون للنظام محور الصحيح، فقد جرت الأمور في فترة مضت من حياتنا التعليمية على نهج لم يكن فيه للتربية ورجالها الحظ الوافر من الرأي، وذلك لعقيدة درجت عليها البلاد، وهي أن كل من تعلم يستطيع أن يعلم، وأن أصول التربية وما يتصل بها من تجارب ليست إلا بدعة لا تتطلب التشجيع. ولكن هذه الفترة قد انقضت إلا في قليل من آثارها، وأصبح من الثابت أن هذه المادة تتطلب في دراستها عمقاً شاملاً من الوجوه النظرية والتجريبية، وأن نجاح التعليم يرتبط إلى حد كبير بالعناية بها.

فلذا أن نطمئن إذن إلى مادة المعلم، وإلى طريقته العلمية. ولكن إعداد المعلم ليس مادة وطريقة فحسب، فهناك عامل آخر له في إعداده شأن يجدر بنا أن نحله محله من الرعاية، فهو أساس إعداد المعلم الصالح وذلك هو:

(٥) إعداد البيئة التعليمية الصالحة لنشأته:

ولهذا العامل دعامتان: إحداهما تنصل بالإعداد السابق للمعلم، والثانية ما يجب أن يتوافر في المعهد الذي يعده لمهنة التعليم.

(١) إعداد السابِق في ثقافته العامة:

وقد أشرنا إلى هذا فيما تقدم إشارة مجملة. والذي نريد أن نتعرض له هنا هو حقيقة طافي إعداد المعلم أثر، وهي أن من الثابت أن المتعلم يطبع بالطابع الذي يراه من معلميه، ويتشبع بما يحيط به من نظام في المعهد الذي ينشأ فيه. وأمل المعلم أكثر طبقات المتعلمين حاجة إلى النظام، وإلى الجو المدرسي

الذي يفخره احترام القانون، ويسرده الإذعان لما تسبب المدارس من نظم،
للعامة، وما ترسم من قواعد وتنايد يسير عليها الجيل الناشئ، وإذا كان
للمدارس النموذجية الحديثة مكان في نظامنا التعليمي، فهي في إعداد المعلم ذات
أثر نافع، تجني منه الأمة خير الثمار.

وللوصول إلى غاية محمود في هذا الإعداد الثقافي للمعلم؛ ينشأ قسم إعدادي
يلحق بمعهد إعداد المعلم، يقضى فيه الطالب سنتين بعد مرحلة الثقافة العامة،
يختبر في أثنائها استعداداه لمهنة التعليم، وتشجذ مراهبه، ويزود بمقدار صالح
من المواد التي سيعهد إليه تدريسها فيما بعد.

(ب) المعهد الذي يستعد فيه الطالب لمهنة التدريس:

ومعاهد إعداد المعلمين يجب أن تكون بيئة صالحة، تنجلي فيها عوامل الحياة
الصحيحة، ووسائل النشاط الاجتماعي، ويسودها روح أدبي يحفز إلى جليل
الأعمال، ويطلع الطالب على خير الشيم، وينهض بما فيه من استعداد، وينمي
بذور الشخصية القوية، ويشجع على حب البحث، والاستزادة من الاطلاع
والتحصيل.

وتحقيق هذا يتطلب أن يكون معهد إعداد المعلم له من التقاليد العلمية
والاجتماعية والتهديبية ما يكفل الثقافة الشاملة؛ فيكون فيه إلى جانب المحاضرات
العلمية والبحث العلمي، نشاط اجتماعي، قوامه: محاضرات في شئون شتى، يقوم
بها معلمو المعهد وغيرهم، ويشارك فيها الطلاب كذلك، وجماعات للنشاطات،
وللخطابة، والتمثيل، والرحلات، والرياضة البدنية، وغير ذلك مما أصبح من
عوامل النشاط في المعاهد العلمية، وله في تكوين الفرد والسمو بخلق واستعداداته
العام، الأثر الأول.

ولسنا في حاجة إلى دليل على ما لهذا النشاط من أثر في الحياة التعليمية،
فقد انفتحت على فائدة كلية المربين، وسارت عليه المدارس والمعاهد في أنحاء
العالم، واقتنعت مصر بفائدته، فجعلت له مكاناً في مدارسها المختلفة.
وهذا النشاط لا يقل شأناً في إعداد المعلم وتكوين شخصيته عن البراعة في

المادة، والتعمق في دراستها؛ فإن التصور في الاستعداد الخلقى، والتقصير في غرس كريم الخلال، وحب النظام، والإخلاص لمهنة التعليم، والتهاون في تقويم شخصية المعلم وإعدادها لاجتماعى والحيوى، هو إضعاف للتعليم، وهبوط بمستوى الأجيال القادمة.

إن المعلم الصالح هو الذى ينهم معنى الحياة، ويستطيع أن ينشئ أبناء الأمة تنشئة صالحة، تمكنهم من فهمها، ويهتم بتقدير ما يجرى حوله، ويعمل لخير أبناء البلاد.

ومن هذا يتضح أن إعداد المعلم يجب أن يكون محوطاً بالامانة وحسن الاختيار، وبوضع الأسس الصالحة للمعهد الذى يعده، فالمعلم ليس هو الذى يلهم مادته ثم يصبها فى العقول، وليس هو كتلة علمية تنطير ذراتها وبثور غبارها، وإنما هو شخصية تشع الخلق القويم، وتفيض قوة وإخلاصاً، وحباً للإصلاح والكمال.

أن إعداد المعلم يتطلب معاهد منظمة، وحياة منظمة، ولا تكفى فى إعدادهِ المسابقات العلمية، ولا التنافس فى الاستظهار، ولا فتح الباب لكل طارق، بل إن إعدادهُ يتطلب أن نسير على أحكم الطرق وأنفوسها فى تكوين خلقه، ومادته وطريقته.

وليس من الغرم أن تنفق الدولة فى هذا السبيل بعض ما تنفق فى المرافق الأخرى للبلاد.

وقضل المعاهد المنظمة الصالحة لإعداد المعلم لا يعم الطلاب وحدهم، بل إن رسوخ التقاليد العلمية والاجتماعية لهذه المعاهد، وما لها من ماضٍ مجيد، وما للتخرجين فيها من شأن ومكانة وأثر صالح. كل هذا يجعل المعهد بيئة ينبع منها الإرشاد والإيحاء الحائز للهمم، وقبلة تهوى إليها الأفئدة، وتستضيء النفوس بهديها. وهذه هى المعانى الكامنة فى المعاهد العظيمة ذات التقاليد العربية فى ممالك أوربا، وهى التى جاءت لها الأثر القوي من الوجوه العلمية والخلقية والاجتماعية.

إن إعداد المعلم يتطلب أكثر مما تتطلب الفروع العلمية الأخرى، والمهن المختلفة، التي تهتم الدولة بإعداد رجالها. فالمعلم ليس كتلة من الحقائق العلمية، فهذه الحقائق مسطوية مسورة، وليس عمله مقصوراً على تكوين المتعلمين من الوجهة العلمية فحسب، بل إن المعلم هو القدوة الصالحة في خلقه، وسلوكه، وعادته، ونظامه الفكري، وأسلوبه في الخطاب وفي الحوار، وفي الغايات السامية التي تطمح إليها الأمم في نهضاتها، وقد أصبح من شعار التربية الحديثة أن المعلم والبيئة التعليمية لها في هذا الاتجاه شأن كبير.

ولقد أخذت مصر أخيراً بهذه الأسباب في مدارسها المختلفة، فعنيت بالأنشطة المدرسية على اختلاف أنواعه ومظاهره وغاياته، وازداد رجال التعليم يقيناً بما له من فائدة، وحثوا على الاهتمام به، وأخذت البلاد تعدل عن الفكرة القديمة، وهي أن المدارس أما كن لحشد الحقائق في الأذهان، وعمل ذوو الشأن، أو شرعوا يعملون على أن تحل محلها الفكرة الحديثة في التربية، وهي أن المدارس بيئات للحياة تعد للحياة.

وإذا كان هذا النشاط الخلق والاجتماعي والحيوي لازماً للمدارس الحديثة فمن الواضح أن يكون إعداد المعلم على غراره من النظم التي لا شك في ضرورة الأخذ بها.

إن تنشئة الشعوب على النظام الذي يرسمه المصلحون مرتبط بعوامل أهمها المدارس، فالدولة تستطيع أن تنفذ إلى مواطن الإصلاح عن طريق المدرسة، وأن تتخذها سبيلاً لطبع الشعب بالطابع الذي تريد، وتوجهه الوجهة التي تبغيها، وترسم له من الطرق ما تراه كفيلاً برفقه وصلاحه.

وليس السر في مكانة المدارس وأثرها في الدولة من هذه النواحي راجعاً إلى ما فيها من مناهج، أو ما تتضمن هذه المناهج من حقائق، بل إن السر هو أنها حياة مصغرة، تعد للحياة الواسعة الزاخرة بالمشاكل، وأن المسيطر على المدرسة ومحور الروح السائم فيها إنما هو المعلم، بما فيه من صفات قويمه، وخلق رصين. فلنعد المعلم من وجهة الحياة الصحيحة إلى جانب إعداداته في مادته، وطريقته

بل فوق إعداده فيهما ، وقبل إعداده فيهما

من هذا يظهر أن إعداد المعلم يجب أن يكون في بيئة تتغلغل فيها أصول الحياة الصحيحة ، ويسودها النظام الشامل ، ويسطع منها ضوء الخلق القويم ، والقدوة الصالحة بإشراف هيئة من خيرة المعلمين ، وذلك في جميع مراحل ثقافته العامة ، وثقافته الخاصة ، ومرحلة استعداده لمهنة التعليم . وإنه إذا ساغ لنا أن نلمس الطوائف الأخرى من المعلمين أو الموظفين ممن تعلموا في منازلهم ، أو علموا أنفسهم ، أو ممن تلقوا في مدارس ليالية ، أو ممن اهتموا بالمادة العلمية وحدها ، فليس من الخير للشعب أن نلمس من يقوم بإعداد أبنائه ممن نشأ على هذا النظام ، بل لابد من أن نقصر إعداد المعلم على المدارس والمعاهد التي تتوافر فيها شروط التربية الصحيحة ، والحياة الصحيحة .

إعداد معلم اللغة العربية

وصلنا فيما تقدم إلى قواعد عامة في إعداد المعلم ، وهي إعداده : في مادته وفي طريقته ، وفي حياته الخلقية والاجتماعية ، وإعداد المدارس التي يتلقى فيها ثقافته ، والمعهد الذي يتم فيه مهنته .

وهذه القواعد يجب أن تتوافر في إعداد معلم اللغة العربية ، وسنتناول هذا بشيء من الشرح :

(١) المادة :

إن الاستعداد في اللغة العربية لمن يتصدى لتدريسها يتطلب الإلمام بمواد أخرى ، ترتبط بها تمام الارتباط ، أهمها : الشريعة الإسلامية ، والقرآن الكريم وتفسيره ، وتفهم نواحيه المختلفة ، من الوجهتين الشرعية والبيانية ، ثم التاريخ الإسلامي خاصة ، وتاريخ العرب عامة ، وللعلوم العربية فروع : هي الأدب في جميع أدواره ، وقواعد النحر والصرف ، والبلاغة ، والعروض ، وفقه اللغة .

وكل هذا يجب أن يدرس دراسة شاملة عميقة على الأساليب الحديثة في الدرس والتحصيل ، مع الاهتمام بفهم أساليب المتقدمين في مؤلفاتهم ، والبحث في كل هذا بحثاً أساسه التحريض الجارى على النهج العلى الحديث . وإلى جانب ما تقدم تدرس التريية بفروعها ، النظرية والعملية ، وعلم النفس والفلسفة ، وما يتصل بكل هذا ، بما أصبح من الحتم على المدرس الإلمام به ، وقد أشرنا إليه من قبل .

وفوق هذا تدرس اللغة الأجنبية الحديثة بقدر يمكن المتعلم من الانتفاع بها في الاطلاع والبحث ، والموازنة بين الأدب الغربى وصور من الأدب الغربى تحفز ميله العلى ، وتشجذ قدرته على الافتنان ، وتتبع ما يجد في ميدان العلم والتعليم .

ولسنا الآن بصدد التفصيل في المناهج التى توضع في المواد التى أشرنا إليها ، فليس هذا بالأمر العسير .

(٢) الطريقة :

وطريقة تدريس اللغة العربية تتطلب إلى جانب الإلمام بالقواعد العامة للتريية وعلم النفس تطبيق هذه القواعد على تدريس اللغة العربية ، ورسم خطط تنمى مع طبيعة اللغة وآدابها وقواعدها ، وطرق البراعة فيها . وهذا يستدعى تجارب يقوم بها من أئما بالتريية وباللغة العربية معا ، إئاما دقيقا واسعا .

ولكن هؤلاء الأساتذة صلة بالمدارس التى يقوم المعلمون بالتدريس فيها ، وبالملتشين الذين يزورونها ، حتى تجرى التجارب بخطوات ثابتة ، يمحضا الزمن ، ويثبت دعائمها . وهذه الصلة من أنجع ما يوصل إلى أمثل الطرق وأقومها . ولا ننسى أن البراعة في الطريقة تستلزم استعدادا شخصيا ومرانة :

أما الاستعداد الشخصى فقد تكون عناصره غير متوافرة في بعض من يزجون بأنفسهم في ميدان التعليم ، ويفرضون أنفسهم عليه فرضا ، وهم يجهلون أن هذه المهنة لا توافقهم . وهؤلاء يجب إرشادهم في أول الطريق قبل أن يقطروا

المراحل التي تلوي عناهم عن مهنة أخرى تكون أمثل بهم .
ومعنى هذا أن يكون للشرفين على إعداد المعلم وسيلة يتعرفون بها استعداد
من يصلح لمهنة التعليم ، فيقرون استمراره ، أو صرفه إلى عمل آخر .
وأما التمرين فينبغي أن يكون واسع المدى ، وإفرا الزمن ، كفيلا باطمئنان
المدرس إلى سيره في التدريس على أقوم الطرق .

(٣) وإما إعداد معلم اللغة العربية من الوجهة الاجتماعية والثقافية ، فهذا
يستدعى أن يكون معهد إعداده سائراً على أحدث النظم ، وأن تغلغل فيه
مقومات الحياة الصحيحة ، وتنظم فيه جماعات للطلاب في شتى النواحي : للحاضرات
والمناظرات والتمثيل والرحلات في مصر وغيرها من البلدان ، والرياضة البدنية
وإنشاء مجلة تكون محورا للنشاط العقلي والاجتماعي ، إلى غير ذلك من الجماعات
التي أصبح أمرها معلوما في جميع المعاهد الحديثة ، وأصبحت من أقوى العوامل
في إعداد المعلم ، والنهوض بمستواه الحيوي .

(٤) المعاهد التي يستعد فيها

وهي قسمان : قسم إعدادي ، وقسم لتخريج المعلم .

(١) القسم الإعدادي .

إن إعداد معلم اللغة العربية يختلف عن إعداد معلم المواد الأخرى ، فإنه
يتطلب الإلمام المبكر بقدر صالح من العلوم الشرعية والقرآن الكريم حفظاً
وتفسيراً ، إلى جانب الاستزادة من اللغة العربية ، وكل هذا غير موفور في مرحلة
الثقافة العامة ؛ لهذا كان من اللازم إنشاء قسم إعدادي خاص لمن يستعدون لتدريس
اللغة العربية ، يتلقى فيه الطالب ثقافته الشاملة بدراسة المواد التي تتطلبها .

ب — المعهد الذي يخرج المعلم :

وفيه تدرس المواد التي أشرنا إليها من قبل ، وهي : اللغة العربية ، والعلوم
الشرعية ، والتربية العلمية ، والعملية ، والتاريخ الإسلامي ، والفلسفة ، والمنطق
واللغة الأجنبية ، وغير ذلك .

وفوق هذه الثقافة العامة في القسم الإعدادي، والدراسة في القسم الذي يخرج المدرس، لابد أن تترافر في هذين القسمين عوامل النشاط والحياة الصحيحة العلمية والاجتماعية التي نوهنا بها ولا بد من صلة معهد المعلمين ورجاله بالمدارس التي يقوم المتخرجون بالتدريس فيها، وبالمفتشين الذين يزورونهم، مع تبادل الملاحظات، ووجوه الإرشاد بين هؤلاء جميعاً، تبادلاً يثبت التقاليد الصالحة، ويضع خير الدعائم لإنهاض البلاد، وأخذها بكل مستحدث صالح.

وبعد فإن يقيننا عظيم في أن يكون لمصر، ولولاية الأمور، ولرجال التعليم، خطة راجحة في تخيير معلم اللغة العربية، والنهج لذلك واضح، فقد وضعت البلاد منذ أمد بعيد في فجر نهضتها أساساً لإعداد معلم اللغة العربية، وارتضت معهداً هو دار العلوم التي لها في اللغة العربية وارتقاؤها ونظام تدريسها أثر عظيم لا يحجده منصف، وقد رعتها بعنايتها، وقطعت في النهوض بها مراحل واسعة، وسارت في دعمها، وثبتت تقاليدها، والاحتفاظ بمكائنها، سيراً حثيثاً. ومن الإنصاف للتعليم ولجهود البلاد أن يكون هذا المعهد محل رعاية وعناية من المصلحين، وأن يكون هو المعهد الذي يعتمد عليه في تخريج معلم اللغة العربية.

الشعر القصصي أو

شعر الملاحم

للمؤلف: عبد الرزاق حميدة

نص المحاضرة التي ألقاها الأستاذ عبد الرزاق حميدة ، خريج دارالعلوم
وعضو البعثة الذهبية ، بنادي دار العلوم

سيدى الرئيس أساتذتى وإخوانى الكرام :

إن حديثي اليكم الليلة دائر حول « الشعر القصصي » ، أو شعر الملاحم ، كما سماه بعض علماء المغرب من قبل . وهو موضوع حاولت أن أجد حوله كلاما شافيا في اللغة العربية وكتب الأدب فأعياى البحث ، ولعل سبب ذلك انقطاع الصلة بيني وبين التعمق في دراسة الأدب العربي مدة سبعة أعوام ، أما السبب الذي أعتقد أنه قد فُهم قلة ما كتب في العربية من أبحاث إن كان هناك ما يسمى بحشا - حول « الشعر القصصي » - حول الملاحم . وليس ذلك تقصيرا من ناقدى العرب ، فمؤلا لم يجدوا مادة يتحدثون عنها مترجمة أو موضوعة . وخير من ظفرت به في هذا الباب هو « سليمان البستاني » في مقدمته لترجمته إلياذة هومر . هداني بحثه إلى كثير من المراجع الأجنبية ، فوليت وجهي شطرها ونهلت منها حتى رويت ، وأرجو أن أوفق في أن أعرض عليكم شيئا فيه فائدة ، وفيه جزاء موفر لتكرمكم بتلبية الدعوة لسماع حديثي هذه الليلة . عرفنا هذا النوع من أقسام الشعر عن الناقدين الغربيين الذين يقسمون الشعر أقساما ثلاثة :

أولها الشعر القصصي - أو شعر الملاحم - والملاحمة أو القصيدة القصصية . لا بد فيها من حادثة من حوادث البطولة تكون موضوعا للقصة ، ولا يتحتم أن تكون هذه الحادثة أسطورية أو من نسج الخيال ، بل يمكن أن تكون من حقائق التاريخ أو خرافات الأمم أو قصص الأديان ، يتحدث فيها

الشاعر بلسان أبطالها ، يقص القصص ، ويسرد الوقائع ويزخرف القول ، ويصف عيشة الأبطال ، ويذكر ما أحاط بهم من جو وطبيعة ، وما ساد عصرهم من علم أو فن ، وما سيطر على أزماتهم من عقائد أو أساطير .

وثانيها الشعر الغنائى — وهو ما يعبرون عن منظر ماته بالأنشيد أو الأغاني ويقصدون به الشعر الذى يعبر عن العواطف الشخصية ، من حب وفخر ومن غزل ونسيب ، ويدخلون فيه شعر الحماسة والرثاء ، والمدح والهجاء .

وثالثها : الشعر التمثيلى — أو المسرحيات الشعرية « الدراما » يتحدث فيه الأبطال أنفسهم حوارا أو جدلا ، وخبرا أو إنشأ ، أمرا أو نهيا ، وعذرا أو نذرا . كما يتحدث الناس بعضهم إلى بعض بشئ أنواع الحديث فى الحياة الواقعية المحسوسة

وفيه تبدو الفكرة المراد إبرازها ، أو المغزى الذى يرمى إليه الكاتب . ممثلة على المسرح أمام جمهور المشاهدين ، وتبتدع من أجل ذلك الحوادث ابتداء ، وتنسق تنسيقا يساعد التمثيل على تحسين فضيلة أو تقييح رذيلة ؛ فيكون وقعها ممثلة أثبت فى الذهن ، وأبلغ فى النفس ، وأعمق فى الأثر .

ولا حد بين هذه الأقسام الثلاثة يفصلها فصلا تاما ، أو يحرم على نوع أن يوجد فى ثنايا نوع آخر ؛ بل كثيرا ما يكون تمشيها معا ، واثلا فيها جميعها أو بعضها من مقتضيات الإنشاء أو ضرورات التأليف . ففى إياذه هو مر شعر غنائى من أبدع ما يقع عليه القارى ، فى بابه ، وفيها من الشعر التمثيلى ما يعجز كبار شعراء المسرح أن يأتوا بمثله ، وفى مسرحيات شكسبير — وشهرته أنه أعظم شاعر مسرحى فى القديم والحديث — مثل « هملت » كثير من نوع الملاحم يملأ النفس بمقدرته دهشة وإعجابا . أما قدرته على الشعر الغنائى الموسيقى الجليل فهى مضرب الأمثال عند أبناء جنسه ومن يفهمون لغته ، ويتذوقون أدبه وجماله .

هذا الترتيب الذى ذكرناه هنا لأنواع الشعر عند الأفرنج — القصص ثم الغنائى — ثم التمثيلى — هو الترتيب التاريخى لوجودها كما وصلت إلينا ، أما الترتيب

الطبيعى فيقضى أن يكون الشعر الغنائى أو أنواع منه سابقة على الشعر القصصى ؛ فالأناشيد الدينية التى تقال تضرعا أو زلفى إلى الالهة ، أو تحداثا بنعمة ، أو شكرا على معروف لمن ييدهم ملكوت السموات والأرض فى رأى الأقدمين ؛ وقصائد الفخر بالنصر يملها الشعور الوطنى . والرغبة فى تسجيل المجد القومى ، لابد من أن تكون سابقة للنوع القصصى المركب من التثام هذه وغيرها وترتيبها ترتيبا قصصيا ، وخلق وحدة لها ومحور تدور حوله فى خلال القصة .

والذى يعنينا الآن إنما هو الشعر القصصى . وإن الاختلاف فى تعريف الشعر عند العرب والفرنجة ، وهل تقصد منه الموزون المقفى ، أم تتجاوز عن الوزن وعن النقية ، يجعل ميدان الحديث متأثرا تأثرا كبيرا بالمعنيين . فإذا قصدنا الأول ، وحثمنا الوزن فى الشعر كان المجال أضيق بلا شك . أما التجاوز عن الوزن فإنه يجعلنا فى حل من أن ندخل المقامات ورسالة الغفران فى دائرة الشعر القصصى ، والذى عليه أغلب كتاب الأدب أن الملاحم منظومة .

وهناك اختلاف كذلك فى المقصود من شعر الملاحم ، فمنهم من جعله مقصورا على المنظومات الخيالية القصصية التى تدور حول حوادث عظيمة ، ويكون أبطالها من الآلهة أو من أنصاف الآلهة أو أفذاذ البشر ، أو من البشر خاصة ، ومنهم من أراد به القصص الخيالية أو التى لها سند من التاريخ ما دامت فى قالب شعري ، يكون موضوعها أى نوع من أنواع البطولة يأتى فيها البطل بالعظائم ، ويفعل ما لا يستطيع العامة من الناس فعله ، ويعيهم إحدائه . كما فى الملاحم التاريخية أمثال الشاهنامة ، وأرجوزة ابن عبد ربه فى تاريخ « الناصر » وهى فى الجزء الثانى من العقد الفريد .

الالياذة : The Iliad : أما النوع الأول فمثله « الالياذة » وهى أقدم ما عرف من شعر الملاحم ، تنسب إلى « هومر » ، وهى شخصية مختلف الناس فيها فقال أناس بوجودها ، وأنكرها آخرون مدعين أنها مؤلفة من شخصيات يونانية كثيرة العدد كتبت القصة فى أزمان متعددة ، وأجيال متعاقبة ، ثم حفظت هذه المقطوعات ورواها المنشدون والرواة مجتمعة ، وعنى بحفظها المتكسبون

بجموعة، وسواء كان هذا أو ذاك فلا شك فى أن للقصة وحدة، وأنهما متمازجان
الاجزاء متناسقة الانشيد .

هذا الاسم نسبة إلى إليون (ILION) فى آسيا الصغرى، والتي نعرفها نحن
باسم طروادة . وقعت بينها الحرب وبين اليونان ودامت عشر سنوات . أوقد
نار هذه الحرب باريس « Paris » بن فريام « Priam » ملك طروادة عند ما
زار اسبرطة وأغرى ماكتها هيلانة، مثال الجمال وآيته، وجمع الحسن وغايته
أن تترك ما كها وتفر معه ففعلت، فقامت الحرب، وزحفت جيوش اليونان
على طروادة بقيادة أغا ممنون « Agamemnon » حتى وصلت إلى الحاضرة
« إليون » وحاصرتها عشر سنوات انتهت باستيلاء اليونان على المدينة على
يد أخيل Achilles بطل اليونان .

محور القصة هو « غيظ أخيل »، فقد حدث فى إحدى الغارات أن سبي
الجيش اليونانى فثاتين، إحداهما كريس « Chryse » بنت كاهن « أبولون »
وكانت من نصيب أغاممنون . ذهب أبوها ليفتديها فرفض أسرهما حتى تساق
إليه سبية غيرها، فاستنزل أبوها سخط الإله « أبولون » على اليونان فهزموا،
وأخيرا تنازل أغا ممنون عن سبيته ؛ ولكنه استولى مكانها على فتاة أخرى
كانت من نصيب أخيل ، وكاد يقع بينهما القتال ويفتك أخيل به لولا
أن أدركته « أثينا » إلهة الحكمة وصدته عما كان يريد، فاعتزل أخيل القتال وشكا
إلى أمه « تيتيس » إحدى بنات الماء ، التي صعدت إلى السماء لتشكو إلى
« زيوس » Zeus كبيرا لآلهة (المشتري) فوعدها بخذلان اليونان حتى يطيب
أخيل نفسه . وتوالت الهزائم على اليونان وثقل عليهم الخذلان، فأرسلوا إلى
أخيل يسترضونه ليقودهم فأبى، فزاد هيكتور زعيم الطرواد فتكا باليونانيين
وكاد يفرق سمنهم . وقتل فرطقل « Partocle » صديق أخيل ، فلما علم بذلك
ثارت نفسه ، وتقدم للأخذ بثار صديقه، وبطش بجيش طروادة بطش
الأسود؛ ففروا وتحصنوا فى معقلهم إلا هكتور بن فريام، فقد برز لأخيل
فقتل، وألقيت جثته إلى أبيه ليدفنها .

هذا هو ملخص القصة ، وقد اعتبر فولتير ، ونقاد القرن الثامن عشر في فرنسا هذا النوع وحده جديرا باسم « الملاحم » ، ونفروا ما عداه . أما النوع الثاني ، وهو التاريخي فسيأتى الحديث عنه عند كلامنا على مكان الشعر عند الرومان .

تطور الملاحم في القديم

إن النوع الديني من الملاحم في اليونان هو أقدم ما أوجت به الشياطين إلى أوليائهم من الشعراء ، وقدم هؤلاء لكل من تلاهم منلا في القصائد المتعلقة بالبطولة . وظل الشعر القصصى سائدا طوال أربعة قرون ثم ترك الميدان للشعر الغنائي . ومع ذلك فقد تطور هو أولا ونشأت له فروع . واتسع معناه ، كان في أول الأمر دينيا حربيا ، ثم تحول إلى فلسفة ، وانتقاد وتهكم ، ووجدت منه أنواع لا أثر فيها للبطولة الدينية أو الوثنية . وجاء بعد الإلياذة نوع تعليمي ينسب إلى اليونان في القارة لا في الجزائر ، وأهم من يمثله هو هسيود Hésiode وإليه ينسب نوع آخر هو قصائد (الأنساب) ، وهو نوع تولد من الأناشيد كما خرج الشعر القصصى منها ، بمقتضى التطور الطبيعي للروح التاريخية ، والرغبة في إتمام الأساطير والخرافات ، ووضع أنساب للآلهة وأنصاف الآلهة . ثم جاء بعد ذلك شعراء تقربوا من التاريخ ، وكتبوا قصصا هي أقرب إلى التاريخ الحقيقي منها إلى الشعر القصصى ثم طغى الشعر الغنائي ، وقوى سلطانه ، فدالت دولة الشعر القصصى ، ومن بعده بقليل دالت دولة اليونان .

أما الرومان الذين ورثوا حضارة الإغريق وسيادتهم فلم يكن للملاحمة معنى واضح عندهم ، ولم يكتب شعراؤهم « عملا قوميا » أو قصة وطنية مركبة من مجموعة من الأساطير تركيبا طبيعيا متسلسلا ، أو من الخرافات المركزة حول حادثة خاصة ، أو فكرة معينة تعطى القصة وحدة وانسجاما ، ولم يكن لهم في أوج عظمتهم تقليد خاص في الأوزان الغنائية ، ذلك التقاليد الذي هو شرط من شروط الشعر القصصى يميزه من التاريخ . بل كان ذلك عندهم صناعة واقتنا ، لا أثر اليونان السابقين .

لم تعزز الرومان - كما لم تعزز العرب - كبار الحوادث التي تثير الشاعرية ،

ولأنما أعوزتهم الفسحة من الزمن، والفراغ من العمل مدة القرون الخمسة الأولى لدولتهم، إذ كانوا فى شغل بالحروب والسياسة والتشريع والأعمال الاجتماعية، وكان خيالهم فقيراً ولغتهم غليظة خشنة، فاكثفوا بالافتراض والتقليد.

الدرة الثانية فى عمدة الملاحم هى الإنياد :

الإنياد «Enéide» مؤلفها فرجيل عاش فى القرن الأول قبل المسيح فى زمن أكتاف. مات فرجيل قبل أن يتمها، بل أراد أن يقضى عليها. تتبع فيها تاريخ روما كما كتبه Annius وصل فيها إلى نهاية الاتساق والنبيل والركة، وقلد فيها هرمر وثيوكرىت. بدت فيها عبقرية الشخصية على أتمها، وكذلك جبه وغرامه بالطبيعة، وعلو أسلوبه إلى أعلى الدرجات.

لم يكن الشعر القصصى، أو النصصى الشعرى، خاصاً باليونان أو الرومان بل كان معروفاً عند معظم الأمم الآرية منذ اجتيازها مراحل البداوة. فعند الإنجليز الملاحمة المعروفة باسم ال Bewulf وعند الأسبان ملحمة «السيد» التى افنيس منها كورنى روايته، وعند الألمان كثير منها مبنى على الأساطير الجرمانية القديمة وأشهرها فاوست، أما العالميان والبرتغال فتد كثير كتاب الملاحم عندهم كثرة عظيمة. أما الشرقيون من الآريين فعرف من ملاحمهم «مهابهار» الهند، ومنظومة شهودى التركية، «وشاهنامه» لشاعر تركى ملتب بالفردوسى الطويل كتبها أيام السلطان بايزيد، وأما «شاهنامه» الفردوس فهى من أمهات الملاحم التاريخية، بدأها شاعر اسمه الدقيقى، وأتمها الفردوسى ونسبت إليه، وفيها ذكر تاريخ ملوك الفرس منذ الأكرسة، أما أشهرها على الإطلاق فى العصور الحديثة فهى : «الفردوس الضائع» Paradise Lost لأعظم شاعر إنجليزى بعد شكسبير ذلك هو «جن مائى» John Milton وهى تمثل النوع الدينى المقتبس من الكتب المقدسة، وتعتبر ثلاثة الملاحم فى قصص الملاحم. أما موضوعها فهو «سقوط الإنسان» أو خروج آدم من جنة الخلد لأكله من الشجرة بإغراء حواء. أخذ ملتن هذا الموضوع من الكتاب المقدس، ولكنه طبعه بطابعه الخاص، وأبرز فيه شخصيته واضحة كل البوضوح. قسّمه اثنى عشر

كتاباً تبدأ بخلق العالم . وأعظم مواقفها هو إغراء الشيطان لحواء ثم إغرائها
هي لآدم . أما جهنم التي رسمها في كتابه فهي مثال من أمثلة السمو الشعري
الذي لا يجارى ، وكثيراً ما قارن النقاد بها جحيم دانتى وفضلوا الأول على
الثانى . أما رأيه فى المرأة ، وقضاؤه عليها بأنها أقل عقلاً وديناً من الرجل ،
وأنها سبب مصيبتها وطرده من الجنة ؛ ورأيه فى إبليس وثورته ضد الله فهي
آراؤه هو متأثراً بحياته الخاصة . إذ كان ضد النساء ، وضد الملكية فى زمنه .

العرب والقصص الشعري

هذا النوع من الشعر غير موجود فى الأدب العربى الجاهلى بالمعنى الفنى له
تبحث عنه فيعيك البحث ، ولا تظهر منها جهدت بقصة كاملة على أسلوب
الملاحم وطريقتها فى الشعر الأوربى قديمة وحديثة ، هنالك شعر للمديح أو
الفخر فيه إشارات الى قصة حدثت للشاعر أو قبيلته ، والأمر لا يعدو ذلك .
مع أن أيام العرب ومواقفهم وأبطالهم فيها غناء أى غناء للشاعر القصصى .
ولكنهم — كما يرى فريق من الناقدين — غير مستعدين بفطرتهم لإنشاء
هذا النوع من الأدب . أيامهم ومواقفهم من أمثال حرب البسوس ، وداحس
والغبراء ، ويوم بعاث بين الأوس والخزرج ، ويوم ذى قار بين العرب والفرس
وأبطالهم من أمثال : الماهل وكليب ، والحارث بن عباد ، والربيع بن زياد ،
وهانىء بن مسعود ؛ وعقائدهم وأوابدهم وشياطين شعرائهم كلها تعين العقلية
القصصية على خلق جميل وابتداع جذاب ؛ ومن الجائز أن يكون لهم شعر غنائى
— وهو المرحلة الأولى فى طريق الشعر القصصى — خاطبوا به اللات والعزى
ومناة الثالثة الأخرى ، وهبل الأعلى ، ولكنه ضاع فى ثنايا الأجيال لعدم
تبويته أو تناوله ، واشتغال العرب عنه بالمدح والفخر ، وبالنباهى بالنصر ،
والحض على أخذ الثأر . ولكنهم لم يكونوا فى فسحة رافقه تسمح لهم بنسج
القصص ، وحياسة الملاحم على نير معروف أو صبا فى قالب متفق على سبك
القصص فيه ، إذ أن القصص المنظم نوع من الرفاهية فى الأدب يعتمد إليه الكاتب
فى أوقات الفراغ ، وأنى للعربى المحارب كثير الغارات بشيء من هذا الفراغ !

على أنه مع ذلك قد وجد شيء من الشعر القصصى لم يعتمد إليه قائله ، وإنما جاء عفواً فى ثنايا مدح أو فخر ، الأول فى معلقة زهير بن أبى سلى بمدح هرم ابن سنان والحارث بن عوف وقد حملا حالة القتلى فى حرب عبس وذبيان ، بدأها بالوقوف على دمنة أم أوفى بحومانة الدراج بعد عشرين حجة ، وقد عرف الدار لآيا بعد توهم ، فلما عرف الدار قال لربعها « ألا انعم صباحاً أيها الربيع واسلم » ثم وصف الطعائن اللآئى « تحملن بالعايا من فوق جرثم » وقد سرن « القنان » (١) عن يمينهن ورفعن الأتباط والكلل الجرا ، ثم ظهرن من السبويان وقطعنه ، ثم ملن فيه وخلفنه وراءهن ، حتى وردن الماء زرقاجمامه عند وادى الرسل (٢) فوضعن عصى الحاضر المتخيم .

وفيهن ملهى للطيف ومنظر أنيق لعين الناظر المتوسم
ثم خلاص من هذا إلى مدح الرجلين مقسماً لهما : « انعم السيدان وجدتما على كل حال » لتداركهما عبساً وذبيان بعد ما تقانوا ودقوا بينهم عطر منشم فى حرب عركتهم عرك الرحا بثقالها ، وأشار بعد إلى حصين بن ضمضم الذى أبى أن يقبل الصلح حتى يأخذ بدم أخيه هرم بن ضمضم وفعل .

وكان طوى كشجاعاً على مستكنة فلا هو أبداها ولم يتقدم

وقال سأنضى حاجتى ثم أتى عدوى بألف من ورائى ملجم

ثم خلاص من هذا إلى الحكم التى ختم بها معلقته

فهذه قصة الصلح والإشارة إلى الحرب لم تكن مقصودة ، ولكتنا على كل حال نرى دقة الوصف ، ولطف الإشارة ، وتتابع القصة ، وهى مع ذلك خالية من التفصيل والالمام بدقائق الحوادث .

والثانى . القصص فى ثنايا الفخر ، فى معلقة عمرو بن كلثوم التى يقال إنه أنشأها ارتجالاً فى حضرة عمرو بن هند ، وقد اختصمت بكر وتغلب إليه وهما على أبواب حرب كاد يثيرها ما يروى من أن ناساً من تغلب ، قبيلة عمرو بن كلثوم جاءوا إلى بكر بن وائل يستسقونهم فطاردتهم بكر للحقد الذى كان بينهم ، فرجعوا

فمات منهم سبعون رجلا عطشا . أبى عمرو بن هند أن يحكم بينهم حتى يجعل في وثاقه سبعون رجلا من أشراف بكر . فإن كان الحق لتغلب دفعهم إليها ، وإلا أطلق سراحهم . فلما أصبحوا جاءت تغلب يقودها عمرو بن كلثوم ، وقال الحارث بن حلزة لقومه إنى قد قات خطبة — يريد قصيدته الممدودة من المعلقات — فمن قام بها ظفر بحجته . ورواها ناسا منهم . فلما قاموا بين يديه لم ترضهم ، فحين علم أنه لا يقوم بها أحد مناهه قال لهم والله لا كره أن آتى الملك فيكلمنى من وراء سبعة ستور وينضح أثرى بالماء إذا انصرفت عنه ، وذلك لبرص كان فيه . غير أنى لا أرى أحدا يتوم بها مقامى . وأنا محتمل ذلك لكم . فانطلق حتى أتى الملك فلما نظر إليه عمرو بن كلثوم قال الملك : أهذا يناطقنى وهو لا يطيق صدر راحلة فأجابه الملك حتى أخمه وأنشد الحارث قصيدته :

آذتنا بينها أسماء رب تاويل منه الثواء

وهو من وراء سبعة ستور وهند تسمع ، فلما سمعتها قالت : تالله ما رأيت كالיום قط رجلا يقول مثل هذا الهول يكلم من وراء سبعة ستور ، فقال الملك ارفعوا سترا ، ودنا ، فما زالت تقول ويرفع سترا فسترا حتى صار مع الملك على مجلسه ثم أطعمه من جفنته ، وأمر ألا ينضح أثره بالماء ، وجز نواصى السبعين من بكر ودفعها إلى الحارث ^(١) فأغضب ذلك عمرو بن كلثوم فأنشد قصيدته ، يفتخر ، ويتص أسباب ذلك في معلقته إذ يقول :

أبا هند فلا تعجل علينا وأنظرنا نخبرك اليتمينا

ثم يستمر بعد ذلك في فخره بعزة قومه ، ويصف بأسهم في الحرب ومنعهم من يليهم وطعنهم ما تراخى الناس عنهم ، وضربهم بالسيوف إذا اقترب منهم عدوهم في مواقع :

تخال جماجم الأبطال فيها وسوقا بالاما عزير ^(٢) تمينا

ثم ينصرف إلى عمرو بن هند بخطابه :

شرح المعانيات للتبريزي

٢ الاراضي العلية أكثرها الحصى .

بأى مشيئة عمرو بن هند تطيع بنا الوشاة وتزدرينا
تهددنا وأوعدنا وويدا متى كنا لأمك مقتونيا
ورثنا مجد علقمة بن سيف أباح لنا حصون المجددينا^(١)

ثم يفتخر بآبائه الذين ورثهم من أمثال مهلهل، وعتاب، وكلثوم جميعاً،
وذا البرة الذى خبر عنه عمرو بن هند وقبله الساعى كليب. ثم يفتخر بموقفهم
يوم خزاز وذى أراطى ويتحدث بعد ذلك إلى بنى بكر قائلاً:

إليكم يا بنى بكر إليكم ألما تعلموا منا اليقيناً

ويصف كتابه وعليها البيض والياب اليماني « وأسيافها يقمن وينحينا »
والخيل الجرد التى تحملهم غداة الروع، ثم يقول إنهم خرجوا وراءهم ييضم
كرام يوقدن غيرتهم ويثرن حميتهم ويختم قصيدته بقوله:

ألا لا يجهلن أحد علينا فجهل فوق جهل الجاهلينا

أما معلقة امرئ القيس ومعلقة عنبرة والحارث بن حنظلة فكلها من قبيل
الشعر القصصى. غير أنها كلها لا تسمو إلى أن تكون قصصاً من نوع الملاحم
لتعدد موضوعات الحديث فيها، ولأن القصص فيها عارض

ثم جاء الإسلام، وتشاغل الناس بالفتوح، وعقل القرآن ألسنتهم ببلاغته
وأذهاهم عن أنفسهم وعن شعرهم فشغلوا به وبدعوته حتى دانت لهم مشارق
الأرض ومغارها، فلما استقر قرارهم شغلوا بتثبيت دعائم الملك، وتوكيد
أركان الحكم، واستعان خلفاؤهم بالشعر واتخذوهم لسان السياسة التى يريدونها
وأجزلوا لهم العطاء، وانمحي أى أثر للشعر القصصى الحماسى أو الدينى حتى جاء
عصر الترجمة فى أيام المأمون

عندئذ ترجمت الرومانىة واليونانية

لم يتأثر الأدب العربى بالأدب اليونانى مباشرة فى عصر الترجمة لأن هذا
الآخر لم ينقل إلى العرب، ولم يعرف عندهم، وذلك لأنه أدب أمة وثنية تكثر
فيه الآلهة وتعدد، وهو يتحدث عن عادات واعتقادات لا يسيغها العرب، وهو

١ يقال إن علقمة هو الذى أزل تغلب الجزيرة

كألى أيضاً إذا قسناه بالعلوم الأخرى التى عنى الخلفاء بترجمتها كالطب والجغرافيا والمنطق؛ ولم يكن المترجمون من العرب لهم القدرة على نقل الالباب مثلاً إلى لغتهم بل كانوا من السريان الذين لم تبلغ إجادتهم للغة العربية حداً يجعلهم يقدمون على تلك الترجمة شعراً، فاكثفوا بنقلها إلى لغتهم السريانية. وهذا السبب نفسه هو الذى أدى إلى ترجمة الآداب الهندية والفارسية لأن المترجمين كانوا من كبار كتاب العرب أو شعرائهم كبن المقفع.

كان العصر الذى نحن بصدده من أكثر العصور امتلاءً بالشعراء المجيدين وبالرواة النابهين من أمثال الأصمعي وحماد وخلف، وكانت الشعورية على أشدها أفلم يكن ذلك حافزاً للشعراء من البطون العربية أن يتغنوا بمجد أسلافهم قصصاً أو يتحدثوا عن فتوحهم ومغازيهم حديثاً مسلسلًا منسجماً؟ إنهم لو انصرفوا إلى هذا النحو من الشعر لملأوا لنا الآداب بنفائس منه وذخائر ولكنهم كانوا عنه في شغل بشعر المدح والوصف واللهو ومجالس الأنس والسرور.

وليس معنى ذلك أن الآداب العربي صفر من «الملاحم» مقفر من هذا الضرب من الشعر ذى المكانة الممتازة في الآداب الآرية، فهناك نوع من القصص الممتازة بفكرتها لا بأسلوبها قريبة كل القرب من شعر الملاحم؛ فإذا تجاوزنا عن ضرورة النظم — وهو ما أراه — زادت ثروتنا من هذا النوع، واستطعنا أن نلحق المقامات ورسالة الغفران بالشعر القصصى، أما قيد النظم فهو مما يجعل الميدان أضيق. هذه القصص هي الزير سالم وعنترة بن شداد، وأبو زيد الهلالي، والبراق^(١)، ثم الموالد النبوية التى تمثل من الملاحم نوعاً قائماً بذاته، ودرته الفريدة في الآداب الأجنبية هي «الفردوس الضائع» لما تلى التى سبقت الإشارة إليها، ولأتحدث عن قصة عنترة الآن:

قصة عنترة:

لها أصل من التاريخ، تذكر لنا نشأة عنترة في حادثة خرافية، وتصف بطولته وكرمه ونخبه، وتعرض صورة جذابة لحياة البادية وعادات الأعراب

١ التى بنيت عليها القصة المشهورة «ليلي بنت الصحران».

فيها من شعر وغزو وأخذ بالنار وفخر بحماية الجائر، ثم تقع الحصى وتبين عترة وغيره من قرسان العرب، ويذهب بعد الانتصار عليهم إلى مصر والقسطنطينية فيخلد لنفسه ذكرا سائرا يبطر له وشجاعته، ثم يموت كما مات سليمان عليه السلام - ميتة تخيل إلى رائيه من الأعداء أنه ما زال حيا، وذلك ليصد جيشا مهاجما، وبعد أن يتقهقر جند، يخر سائطا (١) وهي ميتة أشبه بميتة سليمان بن داود عليهما السلام في سورة سبأ: «قال تعالى: «فلما قضيت عليه الموت ما دلهم على مرته إلا دابة الأرض تأكل منسأته، فلما خربت بينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين».

بدأت القصة في صدر الاسلام في حروب الحجاج سنة ٧٧ من الهجرة، في الواقعة التي قتل فيها عتاب بن ورقاء. فقد ذكر ابن الأثير أن عتابا سار في أصحابه قبل المعركة يحرضهم على القتال ويقص عليهم ثم يقول: «أين القصاص؟» فلم يجبه أحد، فيقول «أين من يروى شعر عترة؟» فلم يجبه أحد. فكانوا يروون شعره للتحميس، ثم جمعت أخباره وأشعاره، وتناقلها الناس رواية عن الأصمعي حتى جمعت بمصر. وقد زادت واتسعت، في أواخر القرن الرابع للهجرة في زمن الخليفة العزيز بالله الفاطمي، جمعها رجل اسمه الشيخ يوسف بن إسماعيل ليصرف الناس عن التحدث بريبة حدثت في بيت العزيز، وكان الشيخ يونس هذا واسع الرواية، عالما بأخبار العرب، كثير التوارد والاحاديث، وكان قد أخذ روايات شتى عن أبي عبيدة، ونجد بن هشام، وجهينة الأخبار، والأصمعي وغيرهم من الرواة، فأخذ يكتب قصة عترة ويوزعها في الناس فأعجبوا بها وشغلوا عن سواها، وقد قسمها اثنين وسبعين جزءا. ينتهى كل واحد منها بنهاية تبحث في النفس أشد الشوق إلى ما تلاها، وقد أثبت فيها ما ورد من أشعار العرب المذكورين، ولكن تداول النساخين أفسد روايتها. أما الخوالد فهي أشبه بالفردوس الضائع موضوعا، ولكن شتان بين النوين أحدهما مطرز موشى، والآخر قديم خالق رث، وهو الذى لبسه القصة

في الموالد النبوية : هذه الموالد تتحدث كلها عن آدم في الجنة وخلق حواء من ضلع من أضلاعه اليسرى ، وزواجه منها على صداق قدره عشرون صلاة على محمد ﷺ . ثم يدخل الشيطان إلى الجنة خلسة ، ويغري آدم كما حدث القرآن : « قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى » ، ثم يهبطان إلى الأرض ويعمرانها وتتسلسل منهما الأنبياء والرسل حتى إبراهيم واسماعيل ، ثم إلى محمد وعبدنان ، ثم إلى عبدالمطلب وعبدالله ، ونور محمد في أثناء ذلك ينقل من الأُصْلاب الطاهرة إلى الأرحام النقية حتى يستنر في آمنة بنت وهب تسعة أشهر ويبرز بعدها للوجود هدى ورحمة للعالمين .

ذلك هو يحمل الموضوع الذي تدور حوله الموالد ، وهو شديد الشبه بموضوع ملتن : كلاهما مقتبس من الدين ، وكلاهما يدور حول خلق العالم وزلة الإنسان الأول في الجنة بإغواء الشيطان .

والموالد لها قالب خاص ، وقصصها دائر بين النثر والشعر . والنثر هناك مسجوع سجعاً مزدوجاً من نوع يكاد يكون خاصاً بالموالد ، ذلك هو الانقصار على اللام أو الميم في واحدة ، ثم في الياء المشددة والتاء في التي تليها وهكذا ، ثم يتبدى كل قصيدة بصيغة خاصة تلائم النثر السابق في سجعه : مثلاً

« و خلقت حواء من ضلع آدم اليسرى وهو نائم يامعشر الآثام ، وذلك لعدم الآلام بالكلية ، فلما استيقظ ورآها كأنها البدر التمام . مديده إليها فمغنته الملائكة الكروية . حتى يؤدى مهرها ، فقال وما مهرها يا معشر الملائكة الكرام ، قالوا أن تصلي على محمد عشرين عديدة . فأدى المهر وتزوج بها وشهد على العقد كبار الملائكة ، أما الصيغة التي تسبق كل قصيدة فهي في مثل هذا الازدواج :

اللهم عطر قبره بالتعظيم والتحية ، واغفر لنا ذنوبنا والآثام .

وهناك في العصر الحديث ملاحم أو أشباه الملاحم ، كملحمة « أحمد مجرم » حول تاريخ الرسول ، وملحمة حافظ في قصيدته المعروفة بالعمرية ، وملحمة المرحوم الشيخ محمد عبدالمطلب المعروفة « بالعلوية » وكلها من النوع

النارنجى ، وكوصف حرب اليرنان والترك للرحوم شوقى بك وهى من نوع
«البطولة الحربية» ، وقد حاول بعضهم محاولات أخرى مثيرة فى ثنايا دواوينهم
ولكنها ليست بذات بال .

وبعد فإن تقصير العرب فى إنتاج الشعر الفنى لا يحط من قدرهم ، فإن لكل أمة
ميزة ولكل شعب طابعا فى التفكير والأدب ، ولعل عصرنا هذا أكثر
العصور ملاءمة للإنتاج فى هذا النوع بعد أن عرفنا مركزه فى الآداب الآرية
ولنثبت للشعوبيين من الأوربيين أننا ذوو خيال وقدرة على الابتداع والإشياء .

عبد الرزاق محمده



بين الحقيقة والخيال

الأدب القومي والدعوة إليه

للمؤلف عبد اللطيف المفري

المفتش بوزارة المعارف

في أصيل يوم باسم ، رقراق النسيم ، مجلو الصفحة ، جم الروعة ، أحبت أن
أطوى طريقى إلى البيت مشيا على الأقدام ، فاندفعت فى غمار الناس أتعلل بما
تراه العين من مشاهد ، وأسكن إلى ما يملأ مسمعى من لجب الطريق ، حتى ترامى
بى السير إلى جمع من الدهماء يضطربون كل مضطرب ، كأنهم وقوف على ظهر
سفينة قلقه يعبث بها بحر جياش ، ازدهته عاصفة هوجاء نفخت رزاته ، وقل
وقاره ، وجن جنونه ، فلا تعرف لراكبه قرارا . فدنوت منهم فى رفق وحذر ،
أتعرف ما الخبر ، فأخذت عيني رجلين يتلاحيان فى عنف ، واستحال الأمر إلى
عراك شديد سالت فيه الدماء ، والناس من حولها يقدمون ويتراجعون
متأثرين باتجاه الصراع . واشد ما كانت دهشتى عظيمة حين علمت أن المتقاتلين
إخوان ، وإن اختلافهما على قليل تافه من النقود ، هو الذى أثار بينهما الشر
حتى هم كل منهما أن يورد الآخر موردا للتأفف ، فوقع ذلك من نفسى موقع الأسف
والحسرة ، وعرفت كيف يطغى عرض الدنيا الزائل على القرابة فيقطع وشائجها
ويعصف بأواصرها .

ولم تزل قلة الانصاف قاطعة بين الرجال ولو كانوا ذوى رحم
وسرت فى الطريق مفكرا فيما رأيت ، فما راعنى إلا أحد الدهماء يتعقبنى
فى أسبال بالية ، وهيمته مبتدلة ، وجعل يحاذينى فى المسير لا يحيد عن ذلك قيد شعرة ،
فقدرته أن أسايره ، وتنكبت الطريق لعلى أتقى هذا الطارىء الثقيل ، فلم يزد ذلك إلا
إلحاحا بمسايرتى حتى برمت به ، فوقفت فى مكانى وحدجته بنظرة فاحصة ، وبدأت

عوامل الغضب تأخذ طريقها إلى نفسي، وكنت أؤدر أنه تاركى بعد هذا،
ولكنى دهشت أن رأيته يقابل عبوسى بابتسام، وتبزمى باطمئنان، فعجبت
من شأنه وحرث فى أمره، وما عثم أن بسط يده مصالفاً، فنكرت منه هذا
الفصول، بيد أنى استحييت أن أقبض يدي عنه، فمألفته وتفرست فى وجهه،
فعرفت من ابتسامته العذبة، ووداعته النمطية، وإشعاع عيذه القوي أنه صديق
«العصفور» خياني وحيثته وسرنا فى طريقنا يغمرنا السرور بهذا اللقاء المفاجئ.
والجو الرائع والوقت المرافق، وطفتنا تنقل بين ألوان من الحديث ممتعة :
العصفور : لقد أفعم قلبى حزناً ذلك النزاع بين الآخرين، وأنى لا أعجب العجب
كله كيف تبلغ بكم المطامع ما بلغت من إنكار حقوق القرابة، ويضرب عليكم
الجشع رواقه، فتنسوا ما كان يحمل بالعقلاء أن يتحلوا به من نصفه
واعتدال وحلم وتدبر فى أعقاب الأمور، فلا يطغى الأخ على أخيه
ولا يفتك القوي بالضعيف... .. إننا، عشر الطيور نعد أنفسنا على تجردنا
من ذلك الشيء الذى تسمونه «عقلاء» وهو مبعث فخركم وزهركم علينا - أسعد
منكم حالاً وأهناً بالاً، وأصفى حياة وأوفر طمأنينة، ونرى النزاع فى ديننا ضرباً
من السفه والحق، فنعم الله عظيمة لا تنفذ، وأين تقع منها حاجة الناس؟
والسما ما زالت تجود بمطرها، والأرض ما برحت تقذف بنباتها؛ وكان مثار
دهشتى التفاف جمهور النظارة حول الآخرين يلهو بما يرى ويسمع ويرى الدماء
قد صبغت وجوههما وهو لا يعنيه من الأمر شيء.

ألسنت ترى معنى أن الخلق القومى بين أمثال هؤلاء فى حاجة إلى تقوية
وتهذيب ليكونوا للخير أطوع وإلى الاعتدال أقرب؟ وأقصد بالخلق القومى
الغيرة على صالح الجمهور والغضب لكل ما يمس آدابه ونواميسه الاجتماعية،
فهو ذلك الرباط المندس الذى يربط بعض الأفراد ببعض، ويشعر كلا منهم
أنه مكلف بالذود عن حياض الصالح العام.

أنا - إنى أوافقك على أن الخلق القومى قوة عظيمة لها بالغ الأثر فى
تنظيم الحياة الاجتماعية، وهو بلا مرأى ركن من أركان الإصلاح، متى نضج

خفف النفوس إلى السكال، وعوردها الغضب للحق، وبث فيها الاعتزاز بالعادات الموروثة والآداب الصالحة المرعية، ووجه كل فرد وجهة موفقة لا اعتقاده أنه جزء من كل، يرعاه ويحصى عليه غير به ويأخذه بهفواته بما يطوقه به من نظرات الاحتقار والسخرية والتأنيب الصنيف، والوقوف في وجهه ومقاومته، فلا مندوحة له إذا عن التزام الجادة .

ولقد كان من آثار ما ذكرت انصراف كل إلى شأنه الخاص وتغافله عما يجرح الكرامة القومية من ضروب المجون والدعابة الممقوتة والعدوان على الآداب العامة في الطرق، وبروز بعض السيدات في السبل والمحافل والمجتمعات العامة والمتاجر بغير ما يرضى الأدب والسكال، وليس لهن من ينكر عليهن ما هن فيه من هذه الجرأة وتلك الطفرة الخطيرة التي يرينها من علامات النهوض والرقى .

فما بال هؤلاء سادرات في عبثهن وإسماهن إلى الكرامة القومية إلى غير غاية؟ اللهم إن التبعة في ذلك كله منصبة على عواتق أولئك الآباء والأمهات والأزواج الذين يرون بأعينهم هذا التبرج البغيض ثم يغضون الطرف ويلقون الحبل على الغارب . فهل لهم أن يقضوا يوماً غضبة ترد الكرامة إلى خدرها، وتقرأ الأمور في نصابها ؟ إن العقلاء ينظرون ويشدرون ويحكمون ، فلا يغرن أباً أو زوجاً سكوت الناس عن شأنه ، فإنه لا بد لهم من حكم عليه يرضيه أو يغضبه، والناس تعلم هذا الحكم ولا يجهله سواه . فليضع كل أب أو زوج نفسه في الموضع الذي يراه .

ولقد ذكرني الخلق القومي بشيء تلوك الدعوة إليه السنة المجدين في هذه الأيام، وهو « الأدب القومي » فهل لك أن تتقنى على ما يريدون من هذا الأدب لا أعرف مبلغ غنائه في أدبنا العربي ؟

العصفور: يريد المجددون بالأدب القومي في هذا العصر أن يكون الأدب مصوراً لحياة الشعب، ذا كرا لكل ما يحول في النفوس من آمال وآلام، متعرضاً

لما يقع في الحياة اليومية من أحداث ومشاكل ، مستمدا غذاءه من عناصر البيئة التي درج فيها وأذواق أهلها وشعورهم وتفكيرهم .

ويرى المجددون أن أهم ركن من أركان الأدب القومي الذي يدعون إليه « القصة » وأن الأدب العربي فقير إليها بمعناها المعروف في عالم الأدب الغربي فالأدب العربي في بلد كمصر يجب تمصيره ، وذلك بحصره في أفق كل ما فيه من حقيقة وغرض يجب أن يكون مصرياً ، فلا يحمل بالشاعر أن يذكر الآن في شعره حزوى والعقيق وقرقرى واللوى والدخول وجومل والبردان والعرايم وذات الضال وبطان الضباع وبراق النعاف وأمثاله من الأماكن العربية الصريحة ، وعليه أن يستبدل بها في الشعر الحديث الزملاك والجزيرة والعتبة وباب اللوق وروض الفرج والأهرام وأبا الهول وأمثالها .

وعلى الشاعر أيضاً أن يترك تلك الطريقة التقليدية من بدء القصيدة بالنسب بالمرأة وبكاء الديار وندب الطلول وأن يقصد إلى غرضه ، ومن ركوب النانة الوجناء والناجية والحرف والقيود ، فخذ في عصر الكهرباء والسيارة والطيارة والقطار السريع ذى المقصورات الجميلة ، والمقاعد الوثيرة . وإذا كان الناس في كل زمان ومكان يعتبرهم التبديل والتغير في الملبس والزى والعادات أفلا يكون من حتمهم التصرف في لغتهم على أوضاع وصور توائم عصرهم وتوافق أمزجتهم . ومن الحق ألا يعرضوا لوصف ما لا يعرفونه ولا يضطنعونه في زمنهم ؛ فمن ذا الذي يفرض عليهم وصف الناقة وهم لم يركبوها ، ووصف الصحراء وملاقة أهوالها ومتاعبها ورياحها الهرج وكثبانها الرملية وهم لم يسلكوها . أليس هذا كله من باب المحاكاة غير المعقولة ؟ ومن هذا الطراز أن يظل الكاتب أو الشاعر عاكفاً على مفردات وأساليب ماضى الزمن بحقائقها فأصبحت في عصرنا أثرية لا نألفها مثل « راش له سهام النقد » ومثل « له القدح المعلي » و « كبا زناده » و « أعطى القوس باريها » وأمثال هذه كثيرة مما لا نعرف حقيقته في عصرنا الحديث ، فإنا لا نستعمل السهم ولا نعرف كيف نريشه ، ولا القدح ولا الزناد ولا القوس . ولو تدبر الإنسان في قراءته لمرت به ألوان

كثيرة من هذا النوع فحسبه ما ذكرنا .

أنا - أشكر لصدقي العصفور هذه الجولة الصادقة ، وعنايته برصد ظواهر الأدب الحديث وتعرف اتجاهاته الجديدة ، وأحمد له هذا البيان عن الأدب القومي ولید هذه الأيام وتقريبه إلى المقول تقريباً مفيداً ؛ ولكنى أريد أن أقف من بعض هذه الظواهر التي صورتها مرقف النافذ، ليعود الحق إلى نصابه وتنجلي الحقيقة سافرة لا لبس فيها ولا خفاء فأقول :

تأثر كل أدب بالبيئة أمر معقول وهذا ما تجرى عليه الآداب في الأمم قديماً وحديثاً .

فإن الأدب صورة صحيحة لحياة كل أمة ، ونحن إذ ورثنا العربية لغة نتكلم بها ، فقد ورثنا معها ديناً وخلقاً وعادات وأفكاراً عربية ، وهذه الصلة الوثيقة التي ربطتنا بالآمة العربية لانستطيع تجاهلها ولا تتصور كيف تنصرف عنها ؛ فمن جمال هذه اللغة وتمييز القوة الحيوية لها أن تظل جارية في الطريق التي مهدها لها أصحابها ، فنحتفظ بما فيها من المعاني التاريخية والدينية ، ونقتبس ما شئت من حكمها وأمثالها ، ونجری على السنين المألوف من نجازها واستعارتها وتشبيهها وكل ما يرتضيه الذوق العربي ويسيفه ، وكيف نأخذ اللغة ونتجافى عن معانيها العربية وأفكارها الموروثة ، ونخضعها لأفكارنا الحديثة القومية .

وكيف تنصرف عن ينبوع العربي في تفكيرنا ومعانينا ، ثم نمهد الطريق للينبوع الغربي في التفكير والذوق والثقافة حتى طمّ السيل وعظم الخطب ، وبهذا نسيء إلى لغتنا ونحرمها مراعيها الخصبة التي نشأت فيها ، ونروضها على مزاج مرة المذاق غريبة الطعم حتى تهزل وتشرف على الزوال ، وهذا بلاريب يتعدنا عن لغة العرب على مرور الأيام ويجعلها لغة ممسوخة يكثر فيها الدخيل وتزخر بالأفكار والأخيلة والأذواق المتنافرة ، ويقطع تلك الرابطة الكريمة وهي روح العربية الصحيحة التي تغمر قلوب الأمم الشرقية الناطقة بها بالحب والولاء لها ، حتى أصبح الشرق كله كأنه منطقة واحدة ، فإذا شاد شادني مصر طرب من بالشام والعراق وفارس ونجد وتهامة والحجاز والمغرب . والله در شاعرنا المرحوم

حافظ إبراهيم حيث يقول في تصوير الصلة اللغوية الروحية بين مصر والشام:
 خدران للضاد لم تهتك ستورها ولا تحول عن من مغناهما الأدب
 أم اللغات غداة الفخر أمهما وإن سألت عن الآباء فالعرب
 إذا أمت بوادي النيل نازلة بانت لها راسيات الشام تضطرب
 وإن دعا في ثرى الأهرام ذو ألم أجابه في ذرا لبنان متحب
 لو أخلص النيل والأردن ودهما تصاحت منهما الأمواه والعشب
 وليس معقولا أيها الأخ الكريم أن يكون الأدب أقاليميا ملحا في
 الأقليمية التي يريدونها المجددون، فالآداب الأوربية التي يجعلونها مياسا يريدون
 تطبيقه على الأدب العربي تعرض لحياة الأقليم وتمتد إلى ميراث غيره من
 الأقاليم الأخرى، وما كان الأدب ليحجز في بيئة محدودة ويضرب عليه نطاق
 إقليمي، فذلك لاسبيل إلى تحقيقه.

والعجب كل العجب من هؤلاء المجددين أنهم يتبرمون بالتراث العربي في
 الأدب ويقبلون على كل ماهو تراث فرنجي من لغة أو خيال أو صناعة أو عادة
 أو تسمية، بما يثير الألم ويبعث الحسرة في قلوب المخلصين للغة الضاد: ألم تر
 إلى بعض الأسر الكبيرة كيف تقبل في تربية أبنائها وبناتها على اللغات الأوربية
 وتعرض عن العربية، وترى أن الاجادة في الأولى خير من الثانية؟ وليس
 يبعد عنك ما تراه من تشبه كثير من شبابنا المولعين بالحضارة الأوربية فتراهم
 يلوون ألسنتهم بمناسبة وغير مناسبة باللغات الفرنجية وهم في وسط كل مافيه
 عربي، ولا يتعظون بما يروته بين سمعهم وبصرهم من حرص الأجنبي على لغته
 فتراه لا يكاد ينطق بغيرها إلا للضرورة حائزة. وكان بودي أن ينتفعوا بما يلقيه
 عليهم الأجانب من العناية بلغاتهم والدعوة إليها والاحتفاظ بها وهم في غير بلادهم.
 ولقد يثير دهشتك في هذا المقام أننا ونحن في بلاد عربية نخاطب هؤلاء بلغاتهم
 الفرنجية وتتجاهل حقوق لغتنا العربية، وكان المنطق المستقيم يدعونا إلى الاحتفاظ
 بالنطق بالعربية في بلادنا، ومن أراد حديثنا أو الكتابة إلينا اتخذ العربية
 إلى ذلك سبيلا...

ولقد يبالغ بك الأمر غايته من الأسف أو الضحك حين ترى مبالغ اندفاع بعض أرباب الحرف والصناعات في تسمية محالهم بأسماء أجنبية معربة ، وإن هذا ليقفك على حب المحاكاة لكل ما هو غربي وعلى مقدار تهاوتنا في حقوق لغتنا ، وتفضيل غيرها عليها ؛ سر في الطريق وأقرأ أسماء بعض المحال التي تمر بها يدهشك ما ترى من نحو « صالون لاجرسون » و « صالون هاي لايف » و « صالون دي باري » و « كازينو براندنو » مما لا تفقه لها معنى ولا ترى له رابطة بنا . إن العزة القومية كانت تقتضي غير هذا ، وكان في التسمية بالاهرام والنيل مندوحة ومعزة لقوميتنا . إن صبر أم الضاد على ما تلاقي من إغراض لعظيم .

ولولا ما وهب الله لها من قوة كامنة أقدرتها على تخطي القرون الطويلة بين أحداث الزمان المتتابعة ، ولولا أنها لغة الكتاب الكريم الذي تهوى إليه أفئدة المسلمين الضارين في بقاع الأرض ، لذهبت بها الأيام ، واحتواها الماضي الرهيب ، كما احتوى غيرها من لغات وأجيال ودول .

يا أم الضاد : لا تحزني ولا تنهي . إني لألمح من وراء هذه النهضة الحديثة التي نسبح في أنوارها — بارقا من الأمل يبشر بالاقبال عليك والعناية بك ؛ ولك في قلوب الذين غذيتهم بأدبك من كتاب وشعراء ، ولك في حراسك الأمانة الذين تزخر بهم حصونك في الشرق كله والذين يندودون عن حياضك — العزاء والأمل المرجى ؛ ولن نرضى اتباع رأى المجددين فيك ، وسنظل نكرع من معانيك وذخائرك العربية الخالصة ونفخر بها كل الفخر ، وسيدوم اعتزازنا بكل ما هو تراث عربي ، ولا يدانيه في قلوبنا تراث مما تغزونا به المدنية الحديثة ويزهى به علينا المجددون .

العصفور : ما كنت أقدر يا صديق أن ينتهي بنا الحديث إلى حيث بلغ بك من الألم ، وإني لأحمد لك هذه الغيرة على العربية ، وهذا الأمل الذي بمرجوه لها . وكنت أود أن يظل حديثنا كما كنا نعهد ، لا يغير من صفاء نفسك الذي نعمت به من يوم أن تلاقينا ؛ فأرجوك معذرة .
أنا -- شكرًا لك أيها الأئمة الكريم على شمائلك العذبة ، وليس لحديثك

أثر ما في غضبتي ، وإنما هي خلجات قديمة قارة في نفسي كنت ألاحظها في هدوء
وصمت ، ثم أنزلها منى منزلة الحسرة والالام الدفين . والآن أعود بك إلى
متابعة الحديث كما ألف الصديق ، وأرجو ألا يعرض ما يروعه فأقول :
أما الطريقة التقليدية التي يحاكي بها الشعراء المولدون والحديثون قديما
العرب من بدء القصيد بالنسيب وبكاء الديار وذكر المواضع العربية من نحو
حزوى والعقيق ، ووصف الناقة واتخاذها مطية النقلة في الصحراء ، فليست من
مألوف هذا العصر ، وإني أوافق المجددين في وجوب ترك هذه الطريقة والعدول
عنها إلى الغرض مباشرة أو إلى مقدمة يسيرة ملائمة لروح العصر والمقام .
وقد تمرّد الشعراء على هذه الطريقة وبرموا بها من قديم ودعوا إلى التحرر منها
وأعلم أن أبا نواس كان في مقدمة الثائرين على هذه الطريقة ، وقد عدل عنها في الكثير
الغالب من شعره وأحل محلها وصف الخمر فكانت هي الشائعة في مطالع قصائده
ويجئنا أحيانا إلى هذه الطريقة القديمة حين يحاكي فحول الشعراء المتقدمين من
شعراء البادية وذلك قليل في شعره .

ولا بأس أن أسموك أيها الصديق شيئا من حملاته على هذه الطريقة فاستمع
إليه إذ يقول :

ما منك سلى ولا أطلالها درس ولا نواطق من طير ولا خرس
فيتهاكم بيد القميد بذكر المرأة وعادة العرب في الزجر بالطير ، ويقول :
أعرض عن الربيع إن مررت به واشرب من الخمر أنت أصفاه
وأصغ إليه حين يعرض بالنقد لهذه الطريقة في وضوح وتهكم صريح وتطرف
كثير قال

دع الأطلال تسفها الجنوب وتبكي عهد جدتها الخطوب
وخل لراكب الوجناء أرضا تحب بها النجبية والنجيب
ولا تأخذ عن الأعراب لها ولا عشا فعيشهم جديب
ذر الألبان يشربها أناس رقيق العيش عندهم غريب
بأرض نبتها عشر وطاح وأكثر صيدها ضبع وذيب

إذا دال الحليب قبل عليه ولا تخرج فما في ذلك حروب
 فأطيب منه صافية شمزل يطوف بكأسها ساق أريب
 وهذا المرحوم حافظ بك إبراهيم يثور على هذه الطريقة في أسلوب لاذع
 ومنطق مستقيم فيقول:

وخذ بزمام القوم وانزع بأهله
 وقفنا على النهج القويم فإننا
 ملأنا طباق الأرض وجداولوعة
 وملت بذات الشمر منا مواثقا
 وأفوا منا في الشرق قد طال نومهم
 تغيرت الدنيا وقد كان أهلها
 وكان بريد العلم عيرا وأينقا
 فأصبح لا يرضى البخار مطية
 وقد كان كل الأمر تصويب نبلة
 ونحن كما غنى الأوائل لم نزل
 عرفنا مدى الشيء القويم فهل مدى
 لدى كل شعب في الحوادث عدة
 وعدتنا ندب التراث المضيع
 وشعراؤنا المصريون السابقون أمثال البها زهير وابن النيه وأيدمر المحيرى
 التركي المصري وغيرهم، لم يحفلوا بهذه الطريقة، وكانوا يفتحون قصائدهم بما يرمون
 إليه من الأغراض في الكثير الغالب مما يدل على أن الزهد في هذه الطريقة
 قديم، وأن ليس للمجددين في الدعوة إلى تركها فضل. وقد كان بعض شعرائنا
 المصريين السابقين يحنج إليها أحيانا كابن نباته في شيء من الاعتدال، وابن الفارض
 في كثير من الأسراف، حتى غلبت على شعره وصبغته بصبغة عربية محلية، من بدء
 قصائده بالغزل والنسيب والإكثار من ذكر المواضع العربية الصميمة في شعره
 ولعل لابن الفارض في ذلك عنرا لهيامه الديني الصوفي بكل ما هو عربي لينسجم
 الموضوع والغاية.

وقد كان بعض شعرائنا الحديثين يميل إلى الأخذ بهذه الطريقة في نوع من
الذلة كالمرحوم شوقي بك، وبعضهم كان يتعمدها ويفرق فيها كالمرحوم الشيخ
محمد عبد المطلب حيث كان يهيم بالأعراب والبادية فيبالغ في الجزالة وطريقة
الاحتذاء - وترى هذا مبثوثا في ثنايا شعره - ويحمل بنا أن نورد هنا بعض
الشيء من شعره في ذلك لتري مبلغ اهتمامه رحمه الله بهذه الطريقة وإسرافه فيها
لينال لقب « الشاعر البدوي » باستحقاق وجدارة. قال

فهل لك في صفو عيش رجاء ومن دون سلمي فياف وييد
رعى الله عهدك من عاجل وحيا ربوعا حوتها زرود
وقال :

برق يلوح وسائق يحذر يا شوق هل لك غاية بعد
ونوى تشط بنا مطرحة أنا بالغير ودارهم نجد
يا رحمتا كبد نخوتها برج الغرام ولاحها البعد
ذكرت معاهدنا بذى سلم أفلا يعود لنا بها عهد
لو أن أيام الغضا رجع أو أن ما سلفت به رد
واستمع إليه حين يصف الناقة على الطريقة القديمة قال :

الله في كبد بعد البعاد جرت من الجوى في مسيل الدمع تنال
سارت بها يوم جد البين ناجية في كل واد لها وخذ وإرقال
تجفر المبارك شوقا لا يطيب لها دون السرى الأخضران الطلح والضال
تروى بنعمة حادها إذا ظمئت فتأنق الماء وردا وهو سلسال
ترمي الفجاج بأماق يروعها في سيرها اللامعان البرق والآل
أرخوا أزمتها رأد الضحاو لها من خيفة البين إديار وإقبال
وقال أيضا :

ظلال الغضا لو عاد فيك مقبلي نعت بأنفاس الرياض غليلى
ولو أن أيام الأراك رجعت لي نعمت بعيش في الأراك ظليل
ولكن أن صرف الليالى سوى النوى نوى قذفت بالحى كل سليل

كأنى بالأحداج يحدين غدوة على كل محبوك الوظيف نبيل
 إذا شمن لمع الآل ألقين نحوه بكل عتيق المسمعين أيل
 ولم نر في شعراء عصرنا الحديث من هام بهذه الطريقة وأحياها صور
 العصور القديمة كالشيخ محمد عبد المطلب طيب الله ثراه، ولو أنك سمعت شعره
 هذا غير منسوب إليهم لوقع في دوعك أنك في صميم البادية في نحو صدر الإسلام
 والذي جعل هذه الطريقة مقبولة من الشيخ رحمه الله : نشأته العربية وجودة
 محاكاته لها وحسن إخلاصه لهذا المذهب ورغبته فيه عن يقين وصدق - ولو
 سلك شاعر مصرى في هذا العصر سبيل الشيخ هذه ما بلغ من القبول والرضا
 ما قد بلغه .

هذا ما أحبت أن أعقب به يا صديقي على ما قد سقته من النواحي التي اشتمل
 عليها تعريفك بالأدب القومي . وأرجو أن يكون لنا رجوع إلى ما يريده
 المجددون ودعاة الأدب القومي من تصوير الأدب للحياة وما يقع فيها من أحداث
 وآمال وآلام ، لتعرف أي غاية وصل إليها أدبنا العربي من هذا السبيل ، ولعل
 ذلك يكون في فرصة حسنة تهيئها لنا الأقدار المواتية .

العصفور : حسن ما رقتني عليه أيها الأخ الكريم من نظرات صادقة ،
 وطرف ممتعة ، ونقدات خالصة موفقة في مناحي التعريف بالأدب القومي ؛
 وإنى لأعد هذا الموقت من أسعد المواقف بما حوى من ثمار طيبة ، وآثار قيمة .
 بارك الله في هذا اليوم الجميل فلقد كانت ثماره أشبه به نضرة وبهاء ، وإن لعظيم
 الشكر لله الذي وفقني إلى لقائك اليوم ، وقد كنت قرما إليه منذ أمر بعيد :
 ولما حاذينا شجرة لم يرعنى سوى خلو المكان من صديق العصفور ، فتفقدته
 فإذا هو يخفق بجناحيه في ذروة الشجرة وبقريتي السلام ، ثم يرسل لحنه المطرب
 في أجواز الفضاء فيملؤه حسنا وجمالا .

عبد اللطيف المغربي

رحلة

إلى الواحات البحرية

للمؤلف علي النجدي ناصف

مفتش المعارف بالأسكندرية

ضربنا السحر موعدا للرحلة ، وكان سحرا بديعا من أسجار الربيع ، ندى
النسيم ، عطر الأنفاس ، بهيجا منعشا ، ينسى النومان لذادة الرقاد ، ويشيع في
الكسل المتأفل روح النشاط والخفة ، ويزين له مباكرة الطبيعة قبل أن تستيقظ
وتتنضو عنها ثوب النعاس . توأفينا للموعد خفافا فرجين ، تهادى السلام ،
وتدبأشر يوم مهلل سعيد . وانطلقت بنا السيارة لا تلوى على شيء ، كأنها
الطائر أزعج من مرقدته ، فانفلت في الظلام مذعورا هائما . وكانت القاهرة لا تزال
هادئة ساكنة ، كالهاجع المستغرق في هجته ، بعد نهار ناصب طويل ، زأخر
بالأعمال المضنية ، والأصوات الصاخبة .

لم نكن نحس حولنا حراكا ، ولا نسمع صوتا ، إلا قليلا من عربات
الركوب عن لنا في بعض الطريق ، على قنارات متقاطعة ، ترسل خيلها هنا
وهناك في فتور واسترخاء ، فيترامى إلينا وقع سنابكها على أرض الشوارع ،
في إيقاع رتيب تارة ، وهرجلة مضطربة تارة أخرى ، ثم لانبث هذه الأصوات
أن تبعد وتختف رويدا رويدا ، حتى تغيب في غيابة السكون . وكانت مصايح
الشوارع ونجوم السماء ، تبدى منهوكة حائلة الضياء ، كأنها حراس الليل
المراقبون ، نال منهم طول السهر وجهد المراقبة

ثم أخذت الأهرام تتكشف لنا من بعيد ، تسامتها السيارة ، فتلوح ذراها
قائمة ملساء لا تغضن فيها ولا تجاعيد ، كأنها الأبراج الضخام ، وتصدف السيارة عن
سمتها ، فتواري وراء الدوح الشاخص على حفا في الطريق . وكلما دنونا من مجامعها

زادت في أعيننا ضخامة ، وفي قلوبنا مهابة وجلالا ، حتى بلغناها معالم مجد عتيق وشواهد دنيا عريضة باذخة ، أقرغ عليها بناتها الجبارون كل ما يملك الطاغية المتسلط من أسباب القوة والإحكام ، فكان لهم ماشاءوا لها من الخلود والثبات . وما هي ذى بين يديك ، فارجع البصر وقد تتبعت عليها القرون فوجاً بعد فوج ، هل ترى بها من وهن أو انحلال ؟ ثم ارجع البصر كرتين ، هل ترى هذه القرون المتطاولة — وهي لا تذر من شيء أنت عليه إلا محقة أو عبث بقوة احتماله — استطاعت حتى اليوم أن تنال منها أكثر مما يستطيع الموج أن ينال من الصخرة العاتية : يتكسر عليها ، ويرتد عنها وقد مزقته كل ممزق أليس جهد ما فعلت بها الأيام هر هذه الغضن البادية في جوانبها ، بدلت من ملابسها خشونة ، ومن إشراق أديمها جهامة وعبوسا ، وماذا في ذلك ما دامت متينة البنية ، متماسكة الألواح .

مضت السيارة قدما في طريقها ، وخلفت الأهرام وراءها ، قياما على الحدود بين عالم الضوضاء والحركة ، وعالم الصمت والسكون ، واندفعت في الصحراء تطوى مراحلها في سرعة وتصميم ، كالعهد بها في شوارع القاهرة المبهدة . وماذا تخاف السيارة اليوم من الصحراء ، وقد اتخذت لكل طارئة أهبتها ؟ فالأدوات مستكملة ، والمهندس حاضر ، والوقود موفور ، والماء والأطعمة غزيرة ، والمقاعد وثيرة ، والظل في الصيف ثابت لا يتحول ، والدفء في الشتاء ميسر ، والطريق أمامها واضح المعالم ، قد صنع به عجل السيارات حبكا واضحات ، هيئات أن يمحي أثرها ، أو تطمس سطورها ، لكثرة ما تعهدها بالتبين والتخطيط غدوا ورواحا . وعلى جانب الطريق تتوالى الصوى قائمة على كل خمسة كيلو مترات ، تعرض في ألواحها مبلغ ما قطعت من المسافة ، ثم أن نبأ الرحلة يسبق الركب إلى طيته ، فينتظر الناس هناك مقدمه للبوعدة التي اعتادت السيارة الوصول فيها ، فإذا هي تأخرت وقتا غير مألوف تجردوا لنجدتها خفافا غير وانين ولا مترددين .

فماذا بقي للصحراء من مهابة ؟ وماذا يمكن أن تضمره لسالكها من مخاطر ؟

لقد كان الناس قديما يخشون بأسها ، ويقبلون على اجتيازها إنبال المغامر
يركب الهول وهو عالم بركوبه ، يوم كانوا ولا عدة لهم في اجتيازها غير الجمال ،
ولا حيلة لديهم يتقون بها الماطب ، أما اليرم فلا . فتمسح السيارة إذا جريته
مقداما ، لا تخاف خطرا ، ولا تهاب عاقبة الاندفاع . وماذا ترك الإنسان من
صعب لم يذله ، أو خوف لم يقتحمه ، أو بعيد لم يدركه ، أو خطر لم يعمل على
اتقائه ، في جر السماء ، أو تحت أطباق الماء ، أو في فجاج الغبراء ؟ نعم هذه
السيارة الذلول ، المتحدرة كتحد الماء في صبيه قد تزل فتقع فإذا هي مهلكة
أى مهلكة ، ولكن متى كان ذلك واقعا في الصحراء لا غير ؟ ومتى كان الإنسان
على فراشه ، وبين أهله وعشيرته ، بل بين يدي الطبيب النطاسي — بمنجاة
من التهلكة ؟

بلغت بنا السيارة قارة حامد ، وهي قارة موضع تكثر فيه طرائق السيارات
وتذهب فيه مذاهب شتى ، لكثرة المختلفين إليه ، وليس به معالم تهدي إلى
الطريق كالتى تقوم بما يلى هذا الموضع إلى الواحات البحرية ، ولذلك يحذره
السائقون ، ويتوجسون منه . مخافة التيه فيه .

وكان الظلام قد ولى ، وشاعت في الكون تبشير الصباح ، وطفى نوره
على النجوم ، فغمرها بلا لائمه كما يغمر الماء الفياض مباسم النوار ، وتعرضت
في الجانب الشرق حمرة قاتنة ، تترامى في بعض حواشها غبرة خفيفة ، كأنها
طلائع الكهولة تخالط نضرة الشباب ، أو اليأس العارض يلابس الأمل البسام
فأدركنا أن مشرق الشمس قد دنا ، وأن الاتفاق يتأهب لاستقبالها مشرقا مبتهجا ،
بعد أن احتجبت عنه عامة الليل .

وكان الهواء على حقيقته نسيما رقيقا ، لا صوت له ، ولا عنف فيه ، تستقبله
فتحس منه نفحات رطبية لينة ، تطيب بها النفس ، ويسكن إليها الوجدان ، ولكن
إسراع السيارة في مسيرها جعل منه ريحا هائجة ، ذات دوى وعنف ، لا قبل لنا
بهما ، ولا صبر لنا عليهما ، فاعتصمنا بزجاج النوافذ ، لسدها به ، إلا فرجaisيرة
أمسكنا عليها ، لتجديد هواء السيارة ، وإصلاح فسادده ، وما لبثت الغزالة أن

أطلت من وراء خدرها نقيّة الصفحة، مهللة المحيا كأنها الدينار المشوف،
فأنسنا بهزّاتها، وابتسمنا لها فرحين. ولم تكد تستوى على عرشها، حتى أقبلت
تشر أشعتها الذهبية على أديم الصحراء، وذوائب الربا والنجاد، فإذا كل شيء
يمختال في غلالة حمراء زاهية، كأنما حيكت من الوشي، أو من خيوط الذهب
وكانت كلها غلت صعودا في السماء، تخفف من صبغها الأحمر الوهاج، فيشرق
نجيدتها، ويسطع نورها، حتى صار باهرا أخاذا يكاد سناه يذهب بالابصار.
وكانت نخلال ذلك لا تنسى الكون. ولا تلهو بأصباغها عنه، بل كانت به
مشغولة، وإليه منصرفة، تبادلها شرقا بشرق، وإقبالا بإقبال، وتخلع عليه الغلالة
بعد الغلالة من نسج أنوارها، وفي ألوان أصباغها، تطوى هذه، وتنشر تلك،
فإذاهما أبدا على توافق وحسن مشاكلة.

أرثفح النهار، وأخذنا نحس فعل الهواء النقي واليقظة الباكرة، فتزرا في
أجسامنا وإحياء، فلم يكن بد من النوم نستجم فيه، ونشدد عنده بعض النشاط
والراحة، ولكن أين منا النوم؟ وهل من سبيل إليه الآن، والسيارة لا تزال
منطلقة إلى طيتها، ماضية على سنتها في تصميم وإضرار؟ وهي على ذلك لا تفأ
تتهزنا هزّا عنيفا، تحتاج له أعضاؤنا، ولا نكاد نسلم معه من صدمة ببعض
أجزائها، أو دفعة هنا وهناك. غير أننا لطول ما لقينا من السامة والنصب، لم نصبر
طويلا على هذه الليقظة الخاملة.

فويظهر أنني كنت أشد صاحبي تبرما لهما، وأقلهما احتمالا لها، لذلك كنت
أسبقهما إلى التماس الخلاص منها، فأغمضت جفني، وأرسلت الجسم على راحته
لا أبقى على تماسك أعضائه، ولا أريد عضوا منه على غير الوضع الذي يؤثره
ويجحد الراحة فيه، وفعل صاحبي كما فعلت، فغفونا غفوات قصارا، زارنا النوم
فيها إعجابا وحسنا، يلم إذا أسهمت السيارة، وينقر إذا أدركها العتار، لكن
هذه الرقدة على اضطرابها وتقطعها قد أجدت علينا كثيرا، بما بعثت في نفوسنا
من الرضا والانبساط، وما أعادت إلينا من المرح والنشاط، إلا أننا مع كل
أولئك لم نكن نستطيع الحديث، ولا نجد فيه شيئا من الإيناس والتسلية، فأقلنا

منه، واختصرنا فيه، والزمناء حدوده لا يتشعب ولا يستفيض، ولم نكن نأخذ فيه إلا حاجة داعية، أو غريبة غارة تثير التعليق عليها، أو تمن لأحدنا ولا يريد أن يتفرد برؤيتها؛ ذلك لأن كل شيء في الصحراء صامت مطرق، تغلب عليه الجفوة والاحتجاز، ويوحى بالخلوة إلى النفس، والإصغاء إلى همسات الخواطر وتدبر خلجات الوجدانات.

نعم فالصحراء عالم مهول، لا يحيط به التخيل، ولا يدرك الظن مدى اتساعه موحش، لا حياة فيه ولا حركة، تخفى الرياح في أرجائه رفيقة لينه، أو تدوى هوجاء عاتية، تثير الرمال والحصى الدقاق فإذا هي قذى يرمد العيون، وإبر تحز الوجوه وشجا تضيق به الصدور ويعسر معه التنفس، وسحاب كثيف يربده الأفق، ويتقاصر منه مدى النظر، وتترارى معالم الطريق، ويتعرض السالك للتيه والاعتساف، أما التربة فجرداء مقفرة، عليها رمال ثابتة أو منهارة، وحصى مدقاق أو كبار، بعضها أغبر خالص، وبعضها أغبر مشوب بسواد، كأنما أدركته النار فلوخته. وليس بها من النبات إلا قليل، وهو على قلته حائل مهزول، كأنه زغب أفراخ، أو بقية الشعر في رأس الأصلع. ومنه النامي في غير فراهة ولا رواء، أحوى اللون، كليل الفروع، ناضب الماء، صغير الأزهار، حتى لتخالها ومضات كاسفة، أو خرزات تربة، أو شررا خامدا. وبأخذك قبل هذا كله نجاد مشرفة كالقلاع، وريهاد هابطة كأنها التفاريح بين الأمواج العالية في البحر الضخم، وآكام شاخصة لفتحها الشمس فأسود ظاهرها، وبدت كالعابد المتخشع، أسدل شمره الطويل، أو التفع بمسوحه السود فشاهد الصحراء كما ترى — جافية قاسية، تغلب عليها المهابة والعبوس، ولكنها مع ذلك لا تخلو من الجمال الساذج لاصناعة فيه ولا تكلف، الجمال المؤثر، الذي يحمل على الخشوع والنوقف والإجلال، ويدعو إلى الإذعان والتسليم والالتجاء ويوحى بالتجرد والإيمان بأسرار الغيب. تتابع هذه المشاهد معادة مكرورة تمر بنا، معجلة كأنها مناظر الخيالة، أو خواطر النفس المتفكرة، وكانت السيارة أثناء ذلك لا تسير على وثيرة واحدة لاختلاف طبيعة الأرض في مراحل الطريق.

المنعددة ، فهي هنا صلبة ذات جدد واستواء ، وهنا صلبة ذات ارتفاع وانخفاض
وفي مكان آخر لينة عليها رمال غير متماسكة ، لذلك كانت السيارة تهتز حيناً
كالمتبخر ، وحيناً يقبل مقدمها على مؤخرها طرداً وعكساً ، كالقارب يتعثر بين
هبطات الموج ، وتارة تمر مر السحاب ، لانكاد نحس لها حراكاً .

ثم بلغنا بخيرة الزراعة ، وهي غرفة من الخشب ، بمدرجة الطريق إلى يمين
الذهاب إلى الواحات البحرية ، أقامتها وزارة الزراعة لبعض شأنها في الصحراء ،
ثم استغنت عنها ، وتركتها مثابة للمسافرين ، فأصبحت أشهر معالم الطريق ،
ومحطة الوحيد ، ينزل المسافرون فيه ، فيستجمرون ، ويمشيون تحت ظلاله حاجتهم
من الطعام والشراب ، وقد يبيتون فيه إذا أدركهم الليل . نزلاً في البخيرة قرابة
الساعة الثانية بعد الظهر ، وقد حمى الجو ، وراحت الريح تنفث مثل أنفاس
المجموم . فأوينا إليها مجردين ، وذكرنا فيها الحضر : وحتنا إليه ، كأنما طالت
غيبتنا عنه ، وأصبح عهدنا به بعيداً . بسط لنا السائق نمطاً كان معه ، فاتخذنا
مجالسنا عليه بين أحضان البخيرة ، سعداء فرحين ، وأقبلنا على طعامنا نطعمه في
رغبة ولذة ، كأنما كان شيئاً ممنوعاً ، طال شوقنا إليه ، وطلبنا أيامه ، فنحن وقد
ظفرنا به ، نلتهمه الاتهاماً ، وما كان من ذلك في قليل ولا كثير ، فلما كان إلا
طعاماً مألوفاً ، وهكذا شأن كل شيء في الحياة ، تختلف قيمته ، ويتغير حكمنا
عليه وشعورنا به ، بحسب نسبه إلى غيره ، حتى لقد يتوارد حكمان متناقضان
على الشيء الواحد ، ينسب إلى شيئين مختلفين .

ثم عدنا إلى السيارة الساعة الثالثة ، وكان الهراء لا يزال حاراً كعهدنا به ،
ومضت السيارة في طريقها بين مشاهد كالتى رأينا قبل البخيرة ، حتى أتينا البحر
وهو بقعة واسعة ، يترأكب فيها الرمل طبقات بعضها فوق بعض ، وترسم الرياح
على سطحها تجاعيد متموجة ، كالتى يصنعها النسيم إذا خطر على صفحة الغدير .
فهى لذلك شبيهة بالبحر ، وجديرة أن تسمى باسمه ، والسائقون يخشون البحر ،
ويجمعون لعبوره كل مأوتوا من براعة وحذق ؛ لئلا يسوخ عجل السيارة في
الرمل ؛ فلا يمكن خلاصها إلا بشق الأنفس . وقد كان سائقنا لحسن الحظ

يقظا طويل المران ، كثير الاختلاف إلى الواحات ، سريع التغير للسيارة ، فلم يضطرب ، ولم يد عليه إثارة من تهب ، وتأثر نابذاته ورباطة جأشه ، فاجتزنا البحر في طمأنينة وسلام .

ثم وصلنا إلى النقب ، وهو مكان وعرة ؛ بينه وبين الواحات البحرية نحو خمسة وثلاثين كيلومترا ، تكثر فيه النجود المختلفة الأشكال والألوان ، ما بين مستوى السطح ومتغضنه ، ومتحفز كأنه يريد أن ينقض ، وباسط عطفه كالمتهيء للغزاق ، ومتضام التجاليد كالتدثر تصوننا واحتجازا ، ومنها الأحوى ، والأبيض ترهقه غبرة ، أو تخالطه زرقه زاهية ، كأنما ذر عليه مسحوق زهر البنفسج ، أو كأنه القطيعة الزرقاء تمشي البلى فيها فتساقط الخمل من بعض أقطارها . وربما كان هذا النوع من النجود أشدها إثارة للانتباه ، وقيدا للابصار ؛ لغرابة منظره ، ونقاء زرقته في بعض مراضعه . ويتخال هذه النجاد أودية ومسارب ، تمتد أثناءها كشبان كثيرة ، يترامى بعضها إلى مسافات بعيدة ، في كمال اتساق وحسن استواء ، كأنها صبر عظيمة من القمح ، تناولتها بالقسوية والتنظيم أيد صناع . وبين هذه النجاد والكشبان ينسرب الطريق ، وإنها لتضام من حوله حيناً حتى تسكاد تحيط به ، وتأخذ المناقذ عليه ، فيسبلل من هنا وهناك في تعطف وانحدار ؛ وحيناً تتراجع عنه فجأة أو على التدرج ؛ فيتسع أمامه المجال ، ويخلوله وجه الصحراء .

ثم بلغنا العين المعلقة ، وهي عين قليلة النز أصابها في رأس تلعة مشرقة ، ولعلها سميت بالمعلقة لذلك ، يغن فيها الذباب ، ويلتف من حولها الأشجار ، وضروب من الحشائش وبينها وبين الواحات البحرية نحو خمسة عشر كيلومترا وهي أول ما يصادف المسافر إليها من دلائل الحياة في الطريق ، منذ يفارق الأهرام .

وحوالى الساعة السادسة ، وصلنا إلى الواحات البحرية ، لانكاد نحس شيئا من وعاء هذا السفر الطويل ، ولا يكاد تبدو علينا من آثاره سوى غبرة العثير ، على ملابسنا وأهداب أعيننا ، حتى إذا نفضنا هذه الغبرة ، وأصلحنا من

شأننا وشأن ثيابنا ، عدنا كما كنا قبل الرحلة . ولعل رقة الهواء ، وفرحة الوصول ، وانصرافنا عن التفكير في أنفسنا إلى النظر فيما حولنا ، كل أولئك أنساها النعب والكلال إلى حين ، فلما أويئنا إلى مضاجعنا وأخلدنا إلى النوم ، وجدنا الإعياء والفتور .

وبعد ، فالوحدات البحرية مركز من مراكز الإدارة ، تابع لمحافظة الصحراء الغربية ، حاضرتها البايطة ويتبعها القصر ، وهي مجاورة لها ، وتكاد تكون بلداً واحداً ، ومنديشة ، وبينها وبين البايطة نحو ثمانية كيلو مترات ، والزو ، وبينها وبين مندبشة نحو كيلو متر واحد ، ثم الفراقة ، وبينها وبين البايطة نحو مائتي كيلو متر .

وفي البايطة من فروع الوزارات والمصالح - المركز ، ويضطلع بأعمال الشرطة والقضاء الأهلي ، والمحكمة الشرعية ، وتفتيش الصحة ، والمدرسة الأولية وهي تابعة لمصلحة الحدود ، ومكتب البرق غير السلكي ، ومكتب البريد ، وفرع قسم البساتين ، ويقوم على اصطناع ألوان من الأشربة والرب ، واعتصار الزيتون ، وحفظ التمر في صناديق مختلفة الوزن والحجم ، بعد تنظيفه وتنقيته ، ويجهز آفات الزراعة ، ويصد غارة الرمال على الزروع ، ونحو ذلك . ويتعلم في المدرسة نهارة ٨٤ طفلاً ، بينهم خمس بنات ، وليلاً ٦٥ عاملاً ، تتفاوت أعمارهم تفاوتاً كبيراً .

ويعيش الموظفون هنالك إخواناً متوادين ، كسائر الموظفين في الجهات المنقطعة النائية ، تؤلف بينهم أسباب الحياة المحدودة الهادئة ، الخالية من لاهي المدن وشواغلها ، وتجعل منهم أسرة واحدة لا تتفاوت بين أعضائها ولا تميز؛ تراهم إذا قدم المساء مجتمعين في ناديهم يتلمنون بالسمر ، أو القراءة ، أو اللعب ، أو الاستماع للذياع .

أما سائر بلاد المركز ، فليس بها من فروع الحكومة سوى مدرسة مصلحة الحدود الأولية بمنديشة ، ويتعلم بها نهارة ٦٥ طفلاً ، بينهم بنت واحدة ، هي بنت رئيس المدرسة ، وليلاً ٤٩ عاملاً ، وسوى صيدلية إسعاف بالفراقة ،

يتولى أمرها ممرض ، وفصل دراسي واحد أنشئ فيها العام الماضي ، وجعل تابعاً لمدرسة الباويطى ، يتعلم فيه ٢٧ طفلاً ، ولعله فى تاريخ التعليم هو الفصل الوحيد الذى يفصل بينة وبين مدرسته نحو مائتى كيلو متر .
وجهرة الأهلى فى هذه البلاد فقيرة رقيقة الحال ، ألوانهم كاسفة ، وأجسامهم ضامرة ، يقل فيهم البدين والمائل إلى البدانة . ولقد ترى الغلام تحسبه ابن بنت أو سبع ، وهى فى الحقيقة ابن ثلاث عشرة أو يزيد ، وأكثرهم حفاة لا يتخفون ثيابهم من نسج القطن الأبيض أو المخطط ، ويضعون الطراقي على رؤوسهم ، سراء عامتهم وخاصتهم ، إلا فى يوم الزينة فياتفع الخاصة بالازدية ويضعون الطرايش المغربية ، ومنهم من يلبس الجبة والطيأسان . وليس فيهم من يتجاوز فى تعليه حد الدراسة الأولية . ويكثر بينهم الطلاق والزواج لغير داعية حافزة ، أو لغير داعية البتة سوى الإلف والرغبة الفاشية فى تغيير المرأة . وقل مع ذلك أن يشور نزاع بين المرء وزوجه بسبب الطلاق ؛ ولعل مرد ذلك إلى أن الناس هناك يعيشون عيشة لا تزال فى جماتها قريبة من الفطرة ، خالية من تكاليف الحضارة وأعباء الحياة المتفرقة الكثيرة المطالب .

وتلبس النساء جلابيب موجهة ، أو سوداء مصبغة ، معظمها مطرز بخيوط الحرير الملونة ، ويضربن بالخر على رؤوسهن ، دون أن تشد عليها العصابات أو المناديل ، وتجانين بالدمالج ، والخلاخيل والخزائم ، ويندر أن تحتذى الفتاة قبل أن تتزوج . ولا تجهز العروس من مهرها ، بل يستولى وليها عليه ، ويتولى العريس كسوتها ، وإعداد الفراش لها ، وهو حصيرة ولحف . وأقل المهر خمسون قرشاً ، ولا يزيد أكثره على خمسة جنيهات إلا نادراً . وإذا كان يوم التأسوع لم يكن الرجل قد بنى بزوجته حمل إليها هدية (البصاصة) ، وهى أداة من جريد كانتا تقص فى رأس جريدة ، يوضع فيها ديك رومى حى ، أو زوج حمام ، وبعض الشاي والسكر ، ويبسط عليها شقة من نسيج ، تفصلها العروس ثوباً لها ، ثم يحمل العريس البصاصة ، ويسير فى موكب من لداته وذوى قرياه ، وأصدقاء

أسرته، يتقدمهم الزمار والطبال، حتى إذا دخلوا منزل العروس قدم إليها العريس هديته يدا بيد.

وقبل ليلة الزفاف بأسبوع، يهدى إليها كذلك قدوا من القمح والأرز والسكر والشاي، يحمله هذه المرة على حمار، في مركب كموكب البصاصة. وتقام حفلات الرقص في منزل العروسين منذ هذه الليلة إلى ليلة الزفاف، فيجتمع الرجال هنا وهناك، وتنهض الفتيات بين أيديهم للرقص على التابع، فرادى أو متنى. وفيهن العروس نفسها. تقف الراقصة وبين يديها عصا، فتركزها، وتميل عليها بعض الميل، ثم ترقص رقصة العجز على نقرات الطبل، ونغفات الضابوب. وإذا كان أصيل يوم الزفاف حملت العروس إلى بعلاها على جمل في هودج، ومعها حاشية من قريباتها وأزائها إن كانت من الطبقة الراقية، وإلا حملت على حصان، يركب معها أحد أقربائها، وقد شد كلاهما إلى الآخر بحبل لا يحل حتى يبلغ الموكب منزل العريس. ويعتكف العروسان بالمنزل سبعة أيام بعد ذلك، تسمى عندهم أيام الحجة.

ولأهل الواحات ولع بالشاي عظيم، ربما لا يعدله فيه طعام أو شراب؛ لذلك فهم لا يصبرون على تركه إلا قليلا من النهار، ولا يكاد يشغلهم عنه شاغل، بل أنهم لا يطبقون أعمالهم، ولا يستطيعون المضي في معاناتها إلا إذا استوفوا حاجتهم منه، وهم يشربونه ست مرات في اليوم، ويتقدمه في كل مرة بلاغ من طعام، وقد يضعون عليه حب الفول السوداني المحمص المقشور، كما يضع البندق على القرufe.

ولو أن أهل الواحات يشربون الشاي من نوع جيد، ولا يسرفون في إغلائه لأن خطبه وخفت مضرته، لكنهم يضعون على القليل من الماء ما يربو على مثله من الشاي، ويندر مع ذلك أن يكون من صنف جيد، ثم يغلونه ثلاث مرات، يكون في أولها قليل من السكر جدا، حتى ما يكاد يسيغه من لأعهد له بشربه، وفي الثانية يزيدون سكره، ويضعون غايه النعناع، فتخف

مرارته وتطيب رائحته، وفي الثالثة يكون أحلى طعماً، وأرق قواماً، وأصفى لوناً، وينشدون في ذلك.

أول دور شاي مر ثاني دور نضاع يضر

ثالث دور يزيد حلاه

ولو رأيتهم وقد اجتمعوا لإعداد الشاي وشربه، لرأيت من أمارات الإقبال والجد والتزام الطريقة، ما يدل على أن هذه العادة قد تمكنت منهم تمكناً شديداً، حتى أصبحت ذات تقاليد وأوضاع مرعية الحدود. تراهم جالسين حول الطبلية، وقد جلس ساقهم القرفصاء، يستوقدون النار، ويضع عليها الإبريق، وينظم أكوابه الصغيرة على الطبلية، فإذا تم إعداد الشاي تناول الإبريق، وأقبل على الأكواب يسكب في كل منها قرابة نصفه، ثم يعود فيكمل ملاءها على الترتيب، وإنه في سكب الشاي ليبدأ وبلبل الإبريق إلى حافة الكوب، ثم يرفعه صعوداً إلى حد معين اعتادت يده الوصول إليه، فهو لا يتكلفه ولا يتحرى الوصول إليه، ثم يعود فيبسط بالإبريق فجأة حتى يرجع إلى وضعه أول ما بدأ السكب، فيرغى الشاي حتى تكاد الرغوة تشغل نحو ربع الكوب.

وهم يعالجون من الصناعات — الزراعة، ونسج الحصر، وعمل مكانس الليف، وأوان من الفخار، ومقاطف ونحوها من الخوص. وليس لديهم من آلات الزراعة سوى الدالية. ويعتمد الملاك في زراعة أرضهم ولو قليلة على أجراء يسمونهم الخدم. وقل أن يكون فرق بين بزة الخادم والمخدوم. وللخدم ثلث الحاصلات يختص الواحد به، ويشتركون فيه إذا تعددوا إلا التمر فللخادم كباسة من كل نخلة أبرها وقام بخدمتها. ويزرعون من الفاكهة — النخل، والكرم، والتين، والرمان، والتفاح، والخوخ، والبرتقال، واليوسفي، والمشمش، والليمون الحامض، والخلو، ومن غير الفاكهة — القمح، والأرز، والعدس، والزيتون، وبعض الخضر.

ولغتهم في جملتها شبيهة بعامية العرب بوادي النيل على اختلاف في بعض

الكلمات، وفي اللهجة وطريقة الأداء، فمن الكلمات التي لا أعرف لها نظيراً في غير لغتهم كلمة (راك) بمعنى ليك، و (إلاه) بمعنى لا الجوائية، و (الدرابة) بمعنى الباب، و (الخطية) بمعنى الحقل.

ومن خصائص لهجتهم تفخيم الميم المفتوحة مع إشماعها الضم إذا وليها حرف علة كثمانية، و (ميه) بمعنى ماء، ومنها إبدال الجيم زايًا (كزوز) في زوج و (ززار) في جزار، وإبدال الشين سينا (كسعر) في شعر. ذلك إلى شيوع النصفير، وسرعة الأداء.

والمذهب الشائع بينهم، هو مذهب الإمام مالك رضي الله عنه. أما مساكنهم فكان أكثر مساكن قرى الوادي ودساكره، فاسدة النظام، دانية السقف، قليلة النوافذ، راكدة الهواء، حائلة النور، وقوامها اللبن، والرمل، وجنوع النخل، وجريده، ويمتد بينها مسارب وعرة الأديم، ضيقة المجال، كثيرة الالتواء.

على النجدي ناصف

الحنين !

لـرؤـسـاء فـاير الـعـمـر و سـي

« للنفس الباطنة عالم خاص من الاحساس ،
فأنا ينبض بنشوة الاملاني ، وأنا يطفح بمرارة
الحرمان . . . وهذه القصيدة صورة نفسية عجبة .
تلفظ صاحبها من سكرة شقائه ، فأحس دنيا من
الاحلام ، بشع نورها في اعماقه ، ولكن بينه وبين
دنياه شاسعاً من الظلام ، وفيودا من الاغلال »

أحنّ إلى الدنيا التي في خواطرى	مقطرة الاحلام ، ريباً المناظر
أحنّ إليها مثل ماحن طائر	شجى ، إلى ألف من الطير نافر
أحنّ إليها والحنين يخفّ بي	إلى ملاء عال من الكون باهر
أحنّ إليها ، وهي تنأى بعيدة	على أنها ملبوسة في سرائرى
تطالعى خلف الغيوب فتجلى	لحسّى ، ولكن لا تراها نواظرى
ترأى أمانها العفو بعد احتجابها	طويلاً ، فقرت من سجون المقادر
وأومت لقلبي من خلال غيورها	فأصغى ، وحياتها تحية شاعر
يهم بها الحب الرفيع إلى المنى	كان بها للحب رقية ساحر

أحنّ إلى دنيا من النور طيفها	يمسّ اختيلاً في رياض عواطر
ظلال من الاحلام نامت بخاطرى	وسر من الالهام ملّ مشاعرى
ودنيا ، يحسّ القلب في نبضاتها	ديناً ندنيا ، كالندى في الازاهر
أحس على بعد النوى نغماتها	تطوف بنفسى ذابحات مرأرى
تطل على الدنيا بأنه ثاكل	وتنأى عن الدنيا بغفوة ساهر
إذا عزفت عنى بكتها عواطينى	وإن قربت منى ، بكت مرّ حاضرى

فيالك من دنيا أخاف اقترابها وإن كنت فيها راغبا غير صابر
وما كنت فيها زاهدا غير أني نزلت على حكم الجدود العواثر

أحن إلى دنيا الطلاقة والهوى بعيدا عن الدنيا وشق المخاطر
أصعد أنفاسي بربرة جنة يطوف بأعلاها عيق المجامر
أدهده قلبي في حماها، وأنتني عليها، إذا ما حطمتني غوايري
وأوقظ أحلامي بدف، حنانها وأنشد لحن الحب في كل سامر
أعب نعيم العيش من نفس شاعر وأنهل صفو الخلد من قلب طاهر
فمن لي على الأيام من هذه المتى؟ ومن لي على الدنيا بفرحة ظافر؟
أراني مفجوعا، فمن يأتي بها أهبه حياتي طائعا.. وماثرى
أعيش على الأخطار من كل جانب فيا قلب مهلا إن قدمت، وحاذر!!

أحن إلى الدنيا التي طال فقدوها بماض أليم من حياتي عابر
فيالك من ماض قطعت ظلامه أضمد ماني من جروح غواثر
فقدت على ضوء الشباب مناصري وأبصرت في ظل الكهولة ناصري
وكفنت حظي وهو في ميعة الصبا وشيعته بالنوح في لحن خاطري
فها توألى الدنيا، فقد ضاع عمرها وعمرى، وماذا بعد عمر مقادري
فيا لهني أو ينتضي العمر كله ذبيحا بأنفاسي كهرى المجاذري

نسجت كيان العيش من ذوب مهجتي ودمت هدوء الصبر رغم معاذري
على أني ما كنت أحتمل الآسى عفيفا، ولكن غارقا في جرائري!!
جرائر من يعدو من النار تكتوى حشاه، فينديها بنشوة فاجر!!

أحن إلى دنيا خلودي ومتعتي ومسرحة آمالي ونجوى خواطري
إذا ما بدا منها شعاع لمحته خففت لها شوقا كحفقة طائر

تدبُّ بأوصالي مكبلةً الخُطى كانَّ بأوصالي ظلامَ المقابر
وتسرى بتحناني سرى الروح شفه لدى النزع كرب، شق جوف الحناجر
تألك يادنيا؟ أحجبت في الدُّجى تصلين! أم كفت تحت الدياجر
سُلك فجاج الأرض نحوك ظاماً وأقبلت أستجدي بلهفة حائر
وقنشت أحناء الوجود معزياً رجائي، وآمالى، وجالى، وغابرى

تعالى! فما أبقى جنائوك في دمي صُباة روح أبتغى لمضائى
تعالى: على رغمي ورغمتك إني وإياك صرعى من طعان البواتر
أأفسر؟ إذن متعت فيك بيبغيتي أأجفو؟ إذن لافيت فيك مسامري
فيالى من الانكار قسوة جاحداً ويالى من الاحساس خطرة فاتر؟
سأبقى على الدنيا بلهفة حائر أحنَّ إلى الدنيا التي في خواطري

فاير العمروسى

حلم النيل

لمرستانه سيد قطب

هازج بالنشيد تلو النشيد وهو يمضى إلى مداه البعيد
ذكريات القرون قد صاعها النيل نشيداً، فياله من نشيد!
ينظم السحر والكهانة والفن، ويشدو بكل هذا القصيد
منذ فجر التاريخ لم يتبدل لحنه العذب من قديم جديد

حالم بالرجاء عندك يانيل سعيد بحملك المعهود
يلبت الزهر في خطاك بهجاً ذاك حلم تأويله في الورد
حلوان سيد قطب

تحقيق وبحث

لأستاذ عبد العظيم علي قناري

في التاريخ العربي جاهليه وإسلاميه كثير من القصص يرويه رواة ثقات، لهم في النفوس منزلة منزلة عن الشك، ولاخبارهم ثقة قلما يلحقها زيف، وهم يروون تلك الأقاصيص على أنها حقائق ثابتة، لا يرتفع إلى نقضها برهان، لا يمتزج بها بهتان، فإذا ما شكوا في صحتها لم يفعلوا ما يفعل المؤرخ الباحث، فبنفوا زيفها، وبنفوا جوهرها من زيفها، بل حكوها بميتها وشيئها متصوريين أنها مما يصح أن تتقبله الأقدام والعقول، غافلين عن أنها من الأوهام والخيال، ولو أنهم نزعوا عنها غشاءها الموه، وكشفوا عن حقيقتها الخادع من الأسانيد، لبقى للأدب كنزه ونقى عن التاريخ زيفه، أما تركهم إياها مؤرجحة بين الشك واليقين، والصدق والمين، يقرها قارىء ويدحضها آخر، فلبلة للأفكار، واضطراب في التاريخ وكلاهما ينأى عنهما المؤرخ الثبت.

وأنا لذلك أجرو على أن أرسم كل ما جاء على هذا النحو بسمه القصة، وأصفه بصفة الخرافة، متحرزاً من اقتفاء آثار هؤلاء القاصين، متحلاً من أنبائهم مهما كانت مراتبهم كريمة عالية في التاريخ الاسلامي، ولن أعاب بأسانيدهم إن كانت الاخبار ذات أسانيد، وإن تسامت مكاتبا السندية لمخافتها للروح العلي البحث، ولبعدها عما يستلزمه البحث العقلي الحر، الذي لا يتقيد بالنصوص التاريخية، ولا يتخرج من الطعن في الأسانيد المتصل، حينما ترتضيها الأفكار والنفوس، ولا تخضع لها التواميس، فالحكم المارضي الحكومة هو الوازع العقلي لا الخضوع السندي، لا سيما وجل داتيك الاخبار بما لا يتصل بصميم الدين من قرب أو بعد، ولا يحط من مكانة الأدب العربي بين آداب الأمم الأخرى، ربما كان وضع الاخبار في وضعها الحقيقي بوضعها بالأسطورة أو الأقصوصة نافيا عن الأدب العربي ما يلصقونه به من نقص القصة فيه، ولو

ولو أن هذه الأحاديث التي نغنيها بتصل بالدين أو تمت إلى الأدب ما تأتمنا من بحثها وتمحيصها ولا تخرجنا من نقدها وتحقيقتها ، متى كان اعتمادها على غير القرآن الكريم أو الحديث الصحيح ، لأن هذين الاثرين لم يخط فيهما حرف إلا والعقل يريد والفكر الناقب يعاضده .

ويقيني أن هذه الأخبار التي سأعرض لها ، وأناقش نوعين منها أحدهما ديني تكاد تقرؤه في أصدق كتب السيرة خبرا ، وأوثقها نبأ ، وأقربها من حوادثه زما ، والآخر أدبي برويه غير كتاب من كتب الأدب المطولة المحققة وهي إن شكت في بعضه ؛ فإن شكها لم يدفعها إلى ترجيحه الوجهة الحقيقية . يقيني أنها وضعت لأحد غرضين لا مناص من كليهما أو أحدهما ؛ إما لإدخال الروعة في النفوس والرهبة في القلوب ، وتبعث الأكابر والاعظام لما يتصل به هذه الروايات وتستقبلها جمهرة القارئین مطمئنين إليها ، ويتناولها حذاق المؤرخين غير معترضين عليها ، وإما ليسمر بها المتسامرون ، ويروى بها الراوون فيستق شأن صاحبها ويفشو أمره ، ويملا آفاق الأدب بذكره ويصبح وهو بآبته دهره وفريده عصره ؛ لما في تلك الأحاديث من غرابة بله استحالة ، ولما يضافونه عليها من زخرف وصناعة يروعان النفس ويمتعان الحسن .



إلى القراء ما يرويه غير واحد من رجال السيرة عن الأخبار بيعة النبي قبل سطوع نجمه ، وبزوغ شمس بحقب طويلة ، وكأني بهؤلاء الرواة لم يقنعهم أن أخبر الله بنيرة الرسول في الإنجيل ، ولم يكفهم أن بشر به الله قبل على لسان عيسى ، ودون جلال هذه البشرى كل مقال ، فزعموا أن أحدا ملوك اليمن ربيعة ابن نصر رأى رؤيا هالته وفضح بها ، فلم يدع من كان زمانه وعائفيه وسخرته ومنجميه إلا من استكشفه سرها ، وأستوضحه أمرها فعجزوا عما انتدبهم له وأخبره أحدهم أنه إن أراد لرؤياه تأويلا فعليه بسطيح (١) أو شقي (٢) فعندهما

(١) سطيح كما يقول ابن هشام في سيرته هو ربيع بن ربيعة بن مسعود بن مازن ، وسمى بسطيحا لأن مفاصله كانت لينة فبطوى كما يطوى الحصير .

(٢) شقي هو ابن صعب بن بشكر بن رهم . وسمى شقا لأنه كان شقا الإنسان فله يد واحدة ورجل واحدة وعين واحدة .

اليقين ، فيستقدمهما متعافين ، ولا يخبرهما برؤياه ، بل يستوحيهما نياها فينبئانه
 فيقول سطيج « رأيت حممة (١) خرجت من ظلمة ، فوقعت بأرض تهمة
 فأكلت منها كل ذات حممة » فقال الملك : ما أخطأت منها باسطيح فما أولها ؟
 فيقول « أحلف بما بين الحرمين (٢) من جنس لتبطن أرضكم الحبش ، يليه - كن
 ما بين آيين إلى جرش ، فيقول الملك ؟ إن هذا لفائظ موجه ، فتي هو كائن ؟
 أو في زمانى هذا أم بعده ؟ قال : لا بل بعده بحين أكثر من ستين أو سبعين من
 السنين قال : أفيدوم ذلك من ما لكم أم ينقطع ؟ قال بل ينقطع لبضع وسبعين
 من السنين ثم يقتلون ويخرجون منها هارين ، قال : ومن يل ذلك من قتلهم ؟
 وإخراجهم ؟ قال : يليه إرم بن ذى وزن ، يخرج عليهم من عدن ، فلا يترك
 أحدا منهم باليمن ، : أفيدوم ذلك من سلطانه أم ينقطع ؟ قال بل ينقطع . قال
 ومن يقطعه ؟ قال : بنى زكى يأتيه الوحي من قبل العلى ، قال : ومن هذا النبي ؟
 قال : رجل من ولد غالب بن فهر بن مالك بن النضر ، يكون الملك فى قومه إلى
 آخر الدهر . قال : وهل للدهر آخر ؟ قال : نعم ، يوم يجمع فيه الأولون
 والآخرون يسعد فيه المحسنون ، ويشقى فيه المسيئون ، قال : أحق ما تخبرنى ؟
 قال : نعم والشفق والفسق ، والفاق إذا اتسق إن ما بأتاك به لحق (٣) . ويقدم
 شق فيخبره الخبر ويجرى بينهما حديث . لا يخرج عن حديث صاحبه إلا فى بعض
 الألفاظ أما المعنى فتتفق متسق .

الحديث ظاهر الوضع والاختلاق : اضع الكذب والاختراع ، فأنى لذلك
 الكاهن (المزعوم) أن يعلم ما تكنه الضمائر وتبى به ويستكشف ما فى السرائر
 ويحدث عنه ؟ والله لا يطلع على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول قال تعالى
 « عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحد إلا من ارتضى من رسول ، فإن يسلك من

(١) الحممة - قطعة النار - وظلمة يمتلئ من ناحية البحر ، وأرض تهمة الأرض المنصوبة إلى
 البحر كذلك . .

(٢) الحرة الأرض الصلبة وهى كثيرة بالجزيرة وآيين وجرش مكانان باليمن

(٣) الاسطورة منقول من كتاب سيرة ابن هشام مع تغيير قليل اقتضاه الرغبة فى إيجازها .

بين يديهم من خلفهم صدا^(١) ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم ، والله زهير بن أبي سلبى إذ يقول نائضا تلك الأساطير :

وأعلم علم اليوم والامس قبله ولكننى عن علم مافى غد عسمى
ورسول الله قد بشر به ويعلم هذا التبشير الأحبار والرهبان ، وهذا الذى
يجمله الملك - فيسأل عنه أو يتجاهله ولا أظنه متجاهلا ، كالبعث والنشور
والحساب على النقيير والقطمير ، والثواب والعقاب والجنة والنار - كل أولئك
جاءت بهمرسل ، وليس أهل اليمن عنهم يبعيدون فقيهم اليهودية ، وفيهم النصرانية ونشبت
حروب بسبب الرغبة فى غلبة إحدى الديانتين على الأخرى ؛ وعلى ذلك فلدى
الملك علم ما عنه يسأل . ثم ما هذا القسم الذى لا نعرف نسجه ونظمه على هذا
النوال إلا فى القرآن الكريم ، إنه وحده لدليل الأسطورة ووحجة الاختلاق
وإن الدعوة المحمدية لنى غنى أى غنى عن هذا التبشير القائم على الأساطير .

٢

وهذا مثل ثان لا تجد ثقة من رواة السير إلا حدث به ورواه ، قالوا :
إن المؤتمرين برسول الله صلى الله عليه وسلم ليقتلوه أجمعوا أمرهم على الاجتماع
بدار الندوة^(٢) ليتساروا ويتشاوروا فيما يدفعون به الخطب الحازب الذى يوشك
أن يقضى على دين الآباء ، فعقدوا النية ووطدوا العزم على صده بكل وسيلة
مواتية مهما كلفهم من جليل خطير ، وفى الموعد الذى حددوه اعترضهم على
باب الندوة شيخ ذوهيئة ، وله جلال وهيئة ، يلبس كساء من الخز ، فسألوه : من
الشيخ ؟ فأجاب : نجدى تسامع بالامر الذى دبوا ، ويهمه ما يهمهم ، فأقبل
يسمع ويرى ، ولعله يكون له فى أمرهم الذى كرههم بعض رأى . فاطمأنوا
إليه ، وأدخلوه معهم ، وصار فيهم كآحدهم وقابوا وإياه الامر على شتى وجوهه

(١) الرصد الراصدون للشياطين يطردونهم عن الانبياء خشية أن يوسوسوا لهم ويكشفوا
ما أوحى به الله .

(٢) دار الندوة هى دار قصى بن كلاب وكانت قريش لا تقضى خطير من الامر الا فيها فاشبهها بأندية
الاحزاب الان

فكان أسد هم رأيا، وأبعد هم نظراً، وأصدقهم حكماً، يناقش آراءهم، حتى انتهى القول إلى أبي جهل، فأقر النجدي رأيه، وعززه بحجته، ودعا إلى تنفيذه؛ لنسلم لهم ديانتهم، وتحفظ كرامتهم.

خبر واضح لا لبس فيه ولا غموض، ولكن الغريب فيه الدخيل عليه أن المؤرخين يدعون أن الشيخ النجدي إبليس تزيا بزي أبناء نجد، وتصور بصورتهم، ولا أدري من أين جاءهم هذا؟ وهو ما لم يرد به نص في كتاب الله ولا في كلام رسوله؛ نعم إن الرواية تنسب في بعض الكتب إلى حبر قريش وعالمها عبد الله بن العباس رضي الله عنه، ولكن ذلك لا يعدو أن يكون ادعاء عليه لتستقيم الرواية، وتنهض قوية معززة، فمن أصدق من حبر قريش خبراً؟ أو لعله — إن صح أن الرواية له — استنباط منه؛ لأنه حين الهجرة كان غلاماً لا تتجاوز سنه بضع سنوات، ولا أدري لماذا لا يكون الرجل نجدياً حقيقة لا تصوراً؟ لا سيما أنه قد علل بعض المؤرخين من رواة حديث الهجرة تخير إبليس صورة النجدي بأن النجديين كانوا ينقمون على صاحب الدعوة الجديدة، على حين كان التهاميون هوامهم مع رسول الله، فما الغريب في أن يفد أحد ساداتهم يتحسس أخبار قريش؟ وما يكتنون لعدوهم المشترك، ويشاركونهم في حقهم على الرسول إيثارا لدين أسلافهم ولو أن المؤتمرين رأوا في عمل الرجل أو حديثه ما يبعث شكاً أو يثير ريباً ما قبلوه بينهم، خصوصاً متى عرفنا أن للاتظام في دار الندوة شروطاً، وليس بعيداً أن يعلم ما استقر عليه رأى صناديد قريش وهو في نجد، فأمر رسول الله قد ملأ شبه الجزيرة العربية، وجاوزه إلى البلاد المتاخمة والامم المجاورة؛ لأن الهجرة لم تتم إلا بعد البعثة بثلاث عشرة سنة، وهجرة أصحابه إلى المدينة لا بد أن تحفز القرشيين إلى صدها حتى لا يستنصروهم عليهم، ثم يتألبوا جملة فيقهرهم على خلع أديان آبائهم، وهذا أبو بكر صديق الرسول ينتظر بفارغ صبر وبالغ أمل أمر الله رسوله بالهجرة، فما لا يتصور أن يمكن أولئك الرصد للرسول سبيل الهجرة ذلوا لينشر دينه في أنحاء العالم ثم يغزوهم آخر الأمر وفاضل القول أن أولئك المؤرخين الذين يتحرون حقيقة النجدي فيجدونه إبليس، لا يتفقون على عدد المؤتمرين ولا على أسمائهم، فلو أنهم عرفوا أشخاص المؤتمرين معرفة علم ويقين لحق لهم أن يكشفوا

الناحية المجهولة في تلك الاخبار ، ولكن مالا يساغ أن يتركوا ناحية يجب أن تكون معروفة لأن معرفتها ميسورة ، ويبحثوا ناحية مجهولة وتبينها عسير .

كل هذه العوامل مجتمعة ومتفرقة تجعلني أوقن بأن المثل الأول أسطورة بحت ، وبأن الدخيل في المثل الثاني نجدي قبح أراد أن يحرز شرفا بمساهمته في التكيل بمن يريد أن يقلب عليهم أديانهم ، وأى شرف ذلك الذى يتغنيه بزياده عن دين آباءه وأجداده ، ولا يغض من قيمة مقصده أن يتطفل على قوم لا تجمعهم بهم أسرة ، ولا تنظمه وإياهم صلة ، فحسبه وحدة الغرض

وإخال الدافع إلى تلك الرواية التى قد يتصورها أحد المؤرخين - عن عقيدة - فيرويا فتناقلها الألسن ، فتقدها بطون الكتب - هو قصد المثلثاكة بين تديرين ، والموازنة بين إرادتين . إرادة المشركين الخلاص من رسول الله وعلى رأسهم إبليس يدير أمرهم ، ويدبر كيدهم ؛ وإرادة الله الخلاص لنيه بما كادوا ، وإفساد ما دبروا بإملاء شيطانهم ، « وإذ يذكرك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين » .

ولكن الأمر لا يستأهل كل هذا ؛ فالقرشيون لا يفتشون يحاربون رسول الله سرا وجهرا ويقفون له كل مرصد ، ويقطعون عليه كل مفازة ، وهم يريدون الحل الفاصل ، فكان اجتماعهم ، وكان تشاورهم ، وكان أبو جهل صاحب رأيهم الذى به أخذوا ، ولو أن إبليس كان بينهم لدعاهم إلى أقوم الراى دون تقلب أو تفكير ، ولكن الشأن كان غير ذلك .

والآن ألم بأن أن تبين - نحن رجال الدين واللغة - بعد هذا التحليل أن كتب السيرة جدرة بالتهذيب والصقل ، أو على اليسير الأدنى ، بالتعليق والتفحيح ؛ حتى تنفى اللبس عن كل ما يمت إلى هذا الدين القويم بسبب قريب أو بعيد .

وفي مقال آخر أعرض بعض أحاديث الأدب التى يحسن أن تُعَدَّ قصصا وهمية لاجقائق عليية .

عبد العظيم على فناوى

اقترح

للمحرموم الاستاذ احمد الاسكندري بك

« مقدم إلى حضرات أعضاء المؤتمر الطبي العربي
المنعقد ببغداد في شهر فبراير سنة ١٩٣٨ يمرض عليهم
فيه نموذجاً من تسميته المصطلحات الكيميائية بأسماء
عربية ، نشره في هذا العدد بمناسبة احتفال مجمع فؤاد
الأول للغة العربية بتأنيته منذ قريب ، ثم بمناسبة قرب
انقضاء المؤتمر الطبي العربي في القاهرة في أيام عيد
الاضحى القادم بالقاهرة »

حضرات السادة الأجلاء .

شرقي مجمع اللغة العربية الملكي المصري من قبل أن أنوب عنه في المؤتمر
الطبي التاسع الذي انعقد بالقاهرة في ديسمبر من سنة ١٩٣٦ ، وشرقي الآن
وحضرة زميلي الفاضل الأديب الأستاذ علي الجارم بك أن تنوب عنه في المؤتمر
العاشر المنعقد في دار السلام ببغداد حرسها الله .

ويسرني وحضرة زميلي الجليل أن نبليغ مؤتمركم الموقر تحية المجمع الطبية
ودعواته المخلصة إلى الله أن يكلل أعمالكم بالنجاح ، وأن يرفع على أيديكم من
شأن العربية حتى تعيد سيرتها الأولى فتعود لغة العلم والأدب والحكمة
والاجتماع .

سادتي الأجلاء :

كنت قد شرحت لحضرات أعضاء المؤتمر التاسع خطة مجمعنا في خدمة
العربية من أنه أثر البداة بتطهير لغة التدريس والتأليف من أدران العجمة
في المعلمين الابتدائي والثانوي توخيا لتربية ملكة العربية الفصحى النقية في
نفوس الناشئين وهم نشدة المجد المؤمل وعدة الاتحاد المستقبل . وما كان إثارة
البداة بخدمة هذين التعاليمين ليصرفنا عن تهيئة العتاد لخدمة التعليم العالي ؛

فأصدرنا خلال دورات مجملتنا الخمس قرارات كثيرة في صوغ أبنية الكلام
الصرفية رجحنا فيها رأى بعض أئمة اللغة على رأى الآخر؛ ليتسع لنا ميدان
الاشتقاق والنسب، فيتسع أمامنا مجال الوضع، وتتشعب المناحي المسالمة
لاصطلاحات علوم الطبيعة والكيمياء والأحياء والطب وبخاصة المادة الطيبة
التي تتغلغل فيها مركبات الكيمياء.

ويسرني أن أبلغ حضراتكم أننا قد كدنا نتمتع بتنقية التعليم من شوائب
العجمة، وما احتجنا إلى استعمال الأعجمية إلا في وضع كلمات تعد على الأصابع
تعصب لها بعضنا؛ إذ كانت لائحة المجمع تقضى ألا نلجأ إلى استعمال اللفظ
الأعجمي إلا للضرورة القصوى خشية أن تطغى لغة العلم بأعجميتها الغالبة وهي
تقدر بعشرات الألوف على لغة الأدب وخاصة بعد تعميم التعليم، فيستغلق
على سلاثلنا بعد حين فهم القرآن والحديث وتراث أربعة عشر قرناً من كتب
الشريعة والآداب والحكمة والإلهيات والرياضيات، لا قدر الله.

أقول (قد كدنا نتمتع بتنقية التعليم من شوائب العجمة) لا تناقد شارفنا
إتمام اصطلاحات المراد المقررة في التعليم الثانوي من علم الإحياء والطبيعة
 والرياضة والجغرافية والتاريخ والفنون الجميلة. ولكننا نقتحم العقبة بعد، عقبة
الكيمياء، لا لأن اللغة العربية تعجز عن افتتاحها كما يزعم بعض المعوقين،
بل لأن عناصرها ومركباتها ورموزها تحتاج إلى مواضعة واصطلاح بين
علماء الشعوب الناطقين بالضاد، وتحتاج إلى التدرج في استعمالها بأن تدخل في
التعليم الثانوي وملحقاتها أولاً، ثم في التعليم العالي ثانياً.

وأقول (التعليم الثانوي وملحقاته) لأن التعليم الثانوي تدرس فيه جميع
المراد عدا اللغات الأجنبية باللغة العربية، ويشاركهم في هذا النظام عشرات
الألوف من طلبة المعاهد الأزهرية وطلبة مدارس المعلمين الأولية وطلبة
دار العلوم، وهؤلاء الألوف لا يدرسون إلا بالعربية، فإجبارهم على تعلم
الكيمياء بلغة ندعى أنها عربية مع أن نصفها بل ثلثها رطانات بائدة من
اليونانية واللاتينية القديمة ضرب من الإرهاق والعسف لا يعرفه إلا من

يكابده من متعلّى الكيمياء برطانة أعجمية مكتوبة بحروف عربية وهم أمثالي من الشيوخ .

ووضع اصطلاحات الكيمياء باللغة العربية في متناول أهل اللسان العربي إذا اتفق شيوخ العربية ومدرسو العلوم وصحت عزائمهم على إعلام شأن لغتهم وقد عرضت على حضرات أعضاء مجتمعنا حين تدبونا نائين عنهم في مؤتمر الكرم أن أكون رائدهم في عرض نموذج مصغر لاصطلاحات الكيمياء باللغة العربية للدراسة الثانوية على مؤتمر الجليل ، حتى إذا صادف ارتياحاً من بعض ذوى النعرة العربية وأنصار العزة القومية بدأنا عملنا مغتبطين مرتاحين، وإن كانت الأخرى فسنمضي في عمادنا قدما لانعام تنقية التعليم الثانوي مرجئين العمل في التعليم ريثما يهيء الله للعربية جوا صالحاً من بنينا وحفدتنا فيقومون بما أحجمنا عنه والله نصير المجاهدين .

على أن لنا أسوة بالألمان الذين سبق لهم أن استبدلوا بأسماء العناصر اللاتينية أسماء ألمانية ، ولم يعتبروا اصطلاحات الكيمياء اصطلاحات دولية . هذا إلى أن ثمة اختلافاً بين اللاتينين وغيرهم في تسمية أسماء كثيرة .

أما هذا النموذج فهو مرتب على الترتيب الآتي :

نبدأ أولاً باصطلاحات الكيمياء غير العضوية ثم العضوية على أن نستبدل بالزوائد التي تلحق آخر الكلمات صيغاً من المشتقات لأن لغتنا ليست لغة زوائد بل لغة اشتقاق كبقية اللغات السامية .

مصطلحات الكيمياء غير العضوية

نبدأ أولاً بتسمية العناصر البسيطة ، وقد وضعت صيغة اسم الفاعل من الثلاثي المزيد بحرف للعناصر غير الفلزية على وزن (مُفْعِل) مشتقا من أفعِل الذي همزته للتعدية أو لجعل الفعل صار ذا كذا ، والاول مقيس عند الجمهور ، والثاني مقيس عند بعضهم أو على وزن مُفْعَل .

ووضعت صيغة (فَعَّال) للمبالغة أو للنسب وقد رجح الجمع قياسيتها لذلك .

أسماء العناصر غير الفلزية باللغة العربية

- (١) الأكسجين : سميته المسمى .
لأن معنى اللفظ الأعجمي مولد الحُرْضة كما ترجمها الترك ترجمة حرفية واستعملوها في تعليمهم قبل انقلابهم الأخير . وثمة حوامض كثيرة لا يدخلها الأكسجين فالتسمية ركيكة . ولذلك سميته بأخمس صفاته وهو الإصداء الذي يهرج اتحاد الأكسجين مع غيره .
- (٢) الهيدروجين : سميته المسمى .
وذلك لأن معناه مولد الماء وصيغته (أفعل لإحداث الشيء) وهو هنا الماء وهمزة الماء منقلبة عن هاء بدليل جمعه على مياه
- (٣) الأزوت أو النتروجين .
يسميه اللاتينيون الأزوت ويسميه الانجائز وبعن الأم النتروجين أي مولد (النتر) وهو ملح البارود ، فنظرت إلى أشهر خواصه فوجدته يكون أربعة أخماس الهواء . وهو أيضا مادة الخشب في بنية النبات والحيوان . فرأيت أن نضع له أحد اسمين : أما المسجح بمعنى ذى السجج والسجج من أسماء الهواء ، وإما المنخشب وهو واضح .
- (٤) الكلور . ومعناه الأخضر إلى صفرة . ولكننا سميناه بأشهر صفاته وهي أنه يذسخ الألوان فيجعلها بيضاء . وتوجد صناعة قديمة لتبييض الثياب تسمى التحوير لذلك سميته (المحوّر) أو المبيض .
- (٥) الفلور . وسميته الماصف من اللصف أي البريق واللمعان ؛ لأنه يدخل في طلي الأواني الخزفية وغيرها .
- (٦) الفسفور . وسميته المومض أو المشبّ من الوميض أو إشباب النار .
- (٧) الكربون . وسميته المنفحم لأنه عنصر الفحم .
- (٨) اليود . وسميته المقرّم من القرم وهو شجر ينبت في ماء البحر الملح لأنه يستخرج منه .

(٩) البروم . وسميته المؤسن أو المؤصل وكلاهما بمعنى المتن ، وهو اسمه باليونانية

أسماء العناصر الفلزية

وقد وضعت أسماءها على وزن فعال للنسب أو البالغة

(١) البوتاسيوم أو القليوم . وسميته القلاء من القلى أو القلأى ، وهم الفظان عربيان أو معربان قديمان ، لأن معنى القلى (البوتاس) المنسوب إليه اسم القليوم .

(٢) الصديوم أو النطرونيوم . وسميته الشذام من الشذام بمعنى ملح الطعام ؛ لأنه أحد عنصريه كما أنه عنصر النطرون .

(٣) الكلسيوم . وسميته الكلأس لأنه عنصر الكلس بمعنى الجير وهو اسم معرب قديم .

(٤) السليوم . وسميته النقاح من النقح ، وهو الخالص من الرمل لأنه عنصر الرمل .

(٥) البلاتين . ومعنى الاسم بالاعجمية الفضة ، ولذلك سميته النساك من النسيك ، وهو اسم مهجور للفضة أو الذهب وهو يسمى أيضا الذهب الأبيض أو نسميه الغراب أو القضام من الغرب والقضم وكلاهما اسم مهجور للفضة .

(٦) الكروم . ومعناه الملون ولذلك سميته الخضاب .

(٧) النيكل . ومعناه بالالمانية الخسيس أى النحاس الخسيس لأنهم عثروا عليه مخلوطا بالنحاس فظنوه نحاسا خسيسا ، وسميته الفلاز من الفلز لأن من معانى الفلز النحاس الأبيض .

(٨) الأليمنيوم . وهو عنصر الطين الحر وعنصر الشب الأبيض ولذلك سميته انضار من الغضار وهو الطين الحر اللزج . أو الشباب من الشب ، والشب يسمى بالانجليزية (الألوم) .

(٩) المنجنير . وأسميه الصداع أو الطباع أو الريان من الصدع والطبع والرين وكل منها بمعنى الصدا لأنه قوى الاتحاد بعنصر المصدي وهو (الأكسجين) فيكون به أصداء مختلفة .

(١) المخصيوم . وأسميه الضواء أو السطاع لانه يحترق بضوء شديد فيستعمل في التصوير الشمسي .

(١١) الازديوم . وهو مشتق بالاء عجمية من قوس قزح ، ولذلك أسميه القزاح أو النداء من النداء ومن معاني النداء قوس قزح أيضاً .

(١٢) الراديوم . وأسميه الشعاع ووجه التسمية ظاهر . وهذه كثر العناصر استعمالاً منها إلى العناصر المهمة بأسماء عربية أو معربة قديماً ، فمن الفلزات الذهب والفضة والنحاس والحديد والرصاص والفصدير والزئبق والخاصيني أو التوتيا أو الجسد بلغة اليمن .

ومن غير الفلزات : الكبريت والزرنيخ .

ومجموع هذه الأسماء اثنان وثلاثون عنصراً من نحو تسعين عنصراً ، وأكثر البقية قليل الاستعمال أو نادر الوجود .

أسماء الأجسام الثنائية العناصر

هذه الأجسام أربعة أنواع :

(١) الجسم الذي لا يكون أول عنصريه أكسجيناً ولا إيدروجيناً مثل كبريتور الزئبق يقال فيه كبريتي الزئبق أي الزئبق ذو الكبريت ، فتكون ياء النسب في أوله بدل زائدة (أور) أو (إيد) .

(٢) الجسم الذي أول عنصريه الإيدروجين وكان حامضاً كالجسم المركب من الكلور والإيدروجين وهو (الكلور إيدريك) يقال فيه الحامض المحوري فتكون ياء النسب في آخره بدل زائدة (إيك) .

(٣) الجسم الذي أول عنصريه الأكسجين ويكون بتأثيره في الماء حامضاً مثل (الاندريد كربونيك) يقال فيه : تف المفحى . لأن معنى الاندريد بالاء عجمية : الخالي من الماء وكذلك معنى التف بالعربية أو يقال أيضاً جفيف المفحى .

(٤) الجسم الذي أول عنصريه الأكسجين ولا يكون بتأثيره في الماء حامضاً مثل (أكسيد الحديد) يقال فيه صديق الحديد .

الاجسام الثلاثية العناصر التي أحد عناصرها الأكسجين
هذه الاجسام قسمان : حوامض وأملاح :

الحوامض

الحوامض أربعة أنواع :

- (١) ما يكون أكسيجينه كثيرا ، ويختتم بزائدة (إيك) علامة النسب الانعجمية
مثل (حامض الزرنيخيك) يقال فيه الحامض الزرنيخي .
 - (٢) ما يكون أكسيجينه قليلا ، ويختتم بزائدة (أوز) الموضوعه من اللقطة مثل
(حامض الزرنيخوز) يقال فيه حريمض الزرنيخ .
 - (٣) ما ينشأ عنه أكثر من حامضين كالمركب الناشئ من حامض محتوم بزائدة
(إيك) يقال فيه الحامض تحت المحوري .
 - (٤) المركب الناشئ من حامض محتوم بزائدة (أوز) مثل (الحامض تحت
الكلوروز) يقال فيه الحويمض (تحت) المحوري .
- توضع كلمة (فوق) بدل كلمة تحت إذا كان تركيب الجسم يقتضيها .

الأملاح

الأملاح أربعة أنواع :

- (١) الملح المتركب مع حامض كثير الأكسجين ويختتم فيه العنصر الأول
بزائدة (ات) مثل (كلورات البوتاسيوم) يقال فيه : ملح محور القلاء .
 - (٢) الملح المتركب مع حامض قليل الأكسجين ويختتم بزائدة (إيت) ملح
(كلوريت البوتاسيوم) يقال فيه ملح محور القلاء .
 - (٣) الملح المتركب مع الحامض الموصوف بلفظ (تحت) وأكسيجينه كثير
مثل (تحت كلورات البوتاسيوم) يقال فيه تحت ملح القلاء .
 - (٤) الملح المتركب مع الحامض الموصوف بلفظ (تحت) وأكسيجينه قليل
مثل (تحت كلوريت البوتاسيوم) يقال فيه : تحت ملح محور القلاء .
- وفي عكسها يوضع لفظ (فوق) إذا اقتضاه التركيب

تنبيهات :

(١) أقل الأصداء (الأوكاسيد) مصدئا (أكسيجينا يسمى أول صدا كذا وما يليه يسمى ثاني صدا كذا وهلم جرا ،

(٢) القاعدة أو الأس أو الأصل صدا معدني قابل لأن يتحد مع الحرامض ويكون ملحا

(٣) القف أو القفيف أو الجفيف صدا العناصر غير الفلزبة القابل لأن يتحد مع الماء ويكون حامضا .

(٤) الغاز بمعنى الجسم الصعاد يمكننا أن نسميه بالدُّخَّ أو الأَبام أو الأوار أو العُكَّاب أو العُشَّان أو العرن أو الرَّهَّاء ، وكلها تفيد معنى الدخان وما يشبه الدخان

هذا ولا أرى مانعا من إطلاق اسم الدخان على معنى الغاز قال تعالى : في خلق السماء والأرض « ثم استوى إلى السماء وهي دخان » فاستعمله بمعنى الغاز الكيمياء العضوية أو المفحمية

لأنكر أن تسمية المركبات في الكيمياء العضوية بأسماء عربية تحتاج إلى جد ومثابرة وجهاد عنيف . غير أن كل ذلك يهين أمام العزائم الماضية وأمام توطين النفوس الحرة على اقتحام العقبات ، ويدلنا على أن تذليل صعابها في خيز الإمكان أن شيئا هربا مثلي ليس بكيميائي ولا متطب ولا عارف بلغة أجنبية يستطيع أن يعرض على حضراتكم نماذج لأسماء وضعها على بعض مسميات المركبات العضوية على الوجه الآتي .

(١) البرافينات أو الأيدورجينات المكاربنة المشبعة أو الجذيبات أو المميئات المفحمة المشبعة.

سمينا البرافين (بالجدية) لأن معنى البرافين مختزل من كلمات أعجمية معناها الجذب الخفيف فاذا صغرنا لفظ (الجذب) أفاد معنى الخفة والقلة . وقد جعلت المصدر الصناعي هنا على كل لفظ مختوم بزائدة (إن) الدالة على الخلاصة والروح مثل الجبنية والبنية للجبنين والكفايين

(٢) يدخل تحت هذا النوع من المصنفات المفحمة سلسلة (الميثان) وهي :
الميثان والاينان والبروبان والبوتان وشبه البوتان والبتان وأشباه البتان . وما
يشتق منها مثل الميثيل والاثيل والبروبيل الخ .
وأفراد هذه السلسلة يمكننا أن نسميها بأسماء عربية بأن تصاغ الأسماء المختومة
بزائدة (آن) على وزن (فاعل) والأسماء المختومة بزائد (ايل) على فاعل .

اسم أعجمي	اسم عربي
(١) الميثان (غاز المستنقعات) - الميثيل = الآجل (بمعنى المستنقع) الأجيل	
الاينان - الاثيل	= الطاسيل الطسيل (من معنى السراب أو الغبار المرتفع اللامع)
البروبان - البروبيل	= الشاعل - الشعيل ، لأنه دخان يشتعل بلهب
البوتان - البوتيل	= الجائل - الجويل - سمته بذلك شركة (شل بوناغاز) لأنه ينقل في أوعية ويرسل إلى البلاد .
الايسوبوتان البتان	شبه الجائل . الماسل (بمعنى السائل) لأنه جسم سائل .

الاوليفينات أو الايدروجينات المكاربنة غير المشبعة

تسمى هكذا : الزيتيات أو المصنفات المفحمة غير المشبعة .
يسمى الاثيل الطسيلية .
يسمى البروبيلين : الشعيلية .

الكحولات

تسمى الكحول بالغول وهو المادة المسكرة في الخمر وهي التي تغول العقل
ويستنبط اسمها من استعمال القرآن الكريم لهذا الاسم حيث قال في وصف خمر

الجنة : « لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون » فسر الغول بما يقتال شارب الخمر فيها . وعلى ذلك فيجمع الغول على أغوال .
وتسمى مشتقات الأغوال من المركبات في ساسة الميثان (الآجل) الجذبية والزيتية .

الاثيرات

يمكن إبقاء كلمة الاثير لانه مأخوذ من معنى العنصر الخامس وهو مغرب قديم منذ زمن المأمون ومع ذلك فمن السهل وضع اسم عربي له .
ويضيق بنا المقام عن الدخول في تفصيلات المركبات العضوية ونكتفي الآن في نموذجنا المصغر بذكر الاسماء الأعجمية واضعين يازائها الاسماء العربية على هذا الوجه .

أنواع الأغوال

الاسم الأعجمي	الاسم العربي
(١) الكحول المثيلي	الغول الاجيلي (روح الخشب) .
(٢) الكحول الاثيلي	الغول الطسيلي (روح الخمر) .
(٣) الكحول البرويلي	الغول الشعيلي .
(٤) الكحول الايسوبرويلي	الغول شبيه الشعيلي الخ .
(٥) الكحول البوثيلي	الغول الجويلي .

المواد الدسمة

(١) الاستيارين	الجمسية ، والجَمَس السمن الجامد ونحوه .
(٢) المرجارين	المهيدية ، والمهيد الزبد النقي .
(٣) الاثولان	الاهالية ، والاهالة اسم يشمل الدسم كله
(٤) الجلشرين	الجلسية ، والجلس بقية العسل .
(٥) حامض الاستياريك	الحامض الجسمي .

الاسم العربي	الاسم الأعجمي
الحامض المهيدي .	(٦) حامض المرجاريك
الحامض الأهالي .	(٧) حامض الأولايك

المواد السكرية

الليمونية أو الطبقية .	الدكسترين
الرب أو الدبس أو الصقر .	الجليكوز
السكرية .	السكرين
المُحِل	الدياستاز
الدبقية .	الجلوتين

الحوامض العضوية

الحامض النمل	حامض التملك
الحامض الخلي .	حامض الخاليك
الحامض الحمضي .	حامض الأكساليك
أملاح الخل .	الخلات
أملاح الحمض .	الأكسالات
الدابغية .	التين
الحامض العفص .	حامض العفصيك
الصامور (الشديد الحموضة) أو الحُمَر	الطرطير
(الترهندي) .	
الحامض الصاموري .	حامض الطرطريك
الحامض التفاحي	حامض الماليك
الحامض البورقي .	حامض البوراسيك
الحامض الليموني	حامض الستريك
الضريمية	البنزين

الاسم الاعجمي	الاسم العربي
عطر الترمنتين	عطر البطمية أو الصنوبرية .
الليفين	الليفية .
الجبنين	الجانبة ،

هذا وإن التسميات التي وضعت على عجل ليست إلا مثلاً تقريرية لمثل
 بحكمة الوضع يقوم بها جماعة من علماء الكيمياء وجماعة اللغة يتعاونون
 على تشييد صرح العربية ، فتصبح عما قريب لغة الدين والعلم والأدب والحضارة
 إن شاء الله تعالى وما ذلك على الله بعزيز

أحمد الإسكندري

من أدب المرحوم حفي ناصف بك

١

قصد إليه أحد صغار الشعراء ورجاه أن يقرض ديوانه ، فلما اطلع حفي بك على ذلك الديوان وجد شعراً ركيكاً ضعيفاً ، ولكن الشاعر عاد يلح ويكرر الرجاء ولم يجد حفي بك مناصاً من إجابة سؤاله فكتب له هذه الأبيات وطار بها الشاعر فرحاً وطبع على ديوانه بالخط الكبير : قرطه سعادة حفي بك ناصف ، :

شعر الفحول الأول	ين أساسه شعر كهذا
لكنهم حرصوا على	كتمانته إلا جذاذا
لا بأس ، فاهطل الأج	ش يكون أوله رذاذا
فأعكف على الشعر القد	يم ولد بكعبته لو اذا
وقل القليل فإنه	بين الوري أمضى نفاذا
إن المقل يكون أر	جمع كفة وأخف حاذا

٢

وقال يرثي قاسم بك أمين المتوفى سنة ١٣٢٦ هـ ، ويذكر خطبة كان المرحوم ألقاها في الليلة السابقة لوفاة :

بالأمس كان خطيبنا بالنادي	واليوم مصرعه حديث الوادي
أنحيط في النادي بمنبره دجى	والصبح نحمله على الأعواد
تصفيق إعجاب تحول فجأة	لطماً بأيدي جن بالاضداد
أمست بمرآة العيون قريرة	وغدت أسى بنواه رهن سهاد
ما بين إزهار الحياة لقاسم	وذبولها إلا كقدح زناد
لم تشك من ألم ولم تك كبرة	مأبال نارك حولت لرماد

هلا عدتك إلى سواك منية من عثوا في مصر بالإفساد
 كم هادم لبنائها ، متطالع لغنائها ، متربص لجلاذ
 ولكم بها من راتع في طوه مسترسل في غيه متباد
 ولكم بهذا القطر باغى فته هو رائح لشربها أو غاد
 ومخاتل يسعى بأى وسيلة للبال يقنصه من الأفراد
 ومعر سئم الحياة ، وملة أهله ، واستحيا من الأحفاد
 ما بالهم ضل الحمام سيولهم فتمكنوا في الأرض كالأوتاد

٣

وتوفي طفل له يدعى عصاما فكتب إليه الإمام الشيخ محمد عبده يعزيه ،
 فرد عليه بالكلمة الآتية - ونذكر بهذه المناسبة أنه أنجب بعد ذلك ابنا آخر
 أسماه عصاما قال ، وهو يشير هنا إلى تافقه من إقامته بالصعيد حيث كان يتولى
 منصب القضاء :

« وود الكتاب ، فحفف جر المصاب ، لاني كنت كلفا بهذا السلام ،
 وشغفا بأن تشوذه نفسه فسميته بعصام ، والنفس تعطف على الصغير ، والوالد
 يرأم الأخير ، وكنت أود أن ينتقل إلى القاهرة ، فانتقل إلى الآخرة ، واجتاز
 ذلك المجاز ، بدون أن يكون معه جواز . وليت طلب انتقاله عرض على النظر
 فهم لا يأذنون بمبارحة الديار . ولولا أنه للطبيعة سلطان ، لما تحركت لهذا
 الحدثان ، لاني أحسده الآن ، على راحته من متاع الزمان . ومن يعلم حال
 المستقبل الذي يكون فيه مثله كهلا ؟ وهامى طوالعه منتدرة بأنه أكثر جدبا
 وأشد محلا »

« جاورت أعدائي وجاور ربه شتان بين جواره وجواري »
 أبقي الله سيدى زينة للحياة ، ونفرا للعلماء والقضاة ، وكفر بوجوده سيئات
 الدهر ، وأعان بعظاته القلوب على الصبر .

أسماءنا في القرن العشرين

من الممكن أن نتحدث عن الأسماء حديثاً عن ظاهرة اجتماعية، ناشئة من تغير الظروف والأحوال، في بلد من البلاد، بتغير الأحداث، وتتابع الثورات، وتوالي التقلبات الفكرية والسياسية والاجتماعية، وهي في مجملتها تدل على اتجاه الشعب وميوله، ونستطيع أن نصل منها إلى مبلغ التحول في النفسانيات، والتغير في النزعات، لجيل من الأجيال، إذا استعنا بدراسة الأسماء قبل هذا الجيل وبعده، ووازننا الأسماء في الأجيال الثلاثة، كالتسمية عندنا قبل نهضة مصر في عهد محمد علي، وبعدها إلى الثورة العراقية، ثم بعد ذلك إلى اليوم.

واختيار الأسماء للبنات والأبناء تقرره عوامل، في الاسم نفسه، أو في المسمى، أو في الزمن الذي جاء فيه الوليد، فقد يدعو الوالد أبناءه بأسماء لامبرر لاختيارها إلا حلاوة لفظها، أو ما تدل عليه من معاني الفطنة والذكاء؛ كنييه وفطين، أو ما فيها من معاني الشجاعة والنبيل؛ كشجاع، ومقدام؛ أو ما تثيره من البأس والقوة؛ كعباس وحسام، أو يكون المسمى — كما قال شوقي رحمه الله.

«عزة من أسامة البطش والفتة لك فسمى وليده بأسامه»
وقد يكون الاختيار والتفضيل ناشئاً بما كان لأصحاب بعض الأسماء من جد سعيد، أو شهرة سياسية أو علمية، ولو لم يكن للاسم أي معنى، كالشاذلي، والأفغاني، أو تكون التسمية نتيجة يقظة روح عامة في شعب بأسره، أو طائفة من شعب؛ كما بعثت ثورتنا الحديثة شعوراً بالمجد القديم، وحبا في إعادة ما غاب عن الأذهان من أبطال العرب والإسلام، ذوى المآثر الخالدة، والبطولة المجيدة، كخالد، وعمر، وصلاح الدين.

وهناك نوع من الأسماء يساير كل العصور: كأسماء القديسين والصالحين، والأنبياء والمرسلين، كإبراهيم وإسماعيل وإسحاق، وأشرف هذه الأسماء عند

المسلمين هو اسم سيد الخلق ، محمد بن عبدالله ، وكذلك كل ما كان من مادة الحمد ، أو العبادة ، كآحمد ومحمود وعبدالحمد وعبدالعزیز . لما ورد في الأثر من أن خير الأسماء ما كان من هاتين المادتين .

فإذا طبقنا هذه الفوائد على التسمية عندنا في هذا القرن، وجدناها واضحة في أسمائنا المصرية، من ذلك أن نهضتنا الوطنية في أوائل هذا القرن ، بقيادة الزعيم المرحوم مصطفى كامل ، ومن بعده محمد فريد ، ثم سعد زغلول ، طيب الله ثراهم ، قد تركت وراءها كثيرا من المسلمين بهذه الأسماء . وكان لاتصالنا بالأتراك حقبة من الدهر أثر في التسمية ، ما زلنا نحسه في الميل إلى ازدواج الأسماء ، كعلي رضا ، أو حسن جلال ، أو مصطفى كمال ، أو توفيق فكري ونراه في اختيار المصادر المتبرعة بباء النسب ؛ كحمدي ، ورشدي ، وصبري وفكري ، وفوزي ، ورمزي ، أو المؤننات ؛ مثل حكمة ، وعفة ، ورأفة ، وعزة مكتوبة بباء مفتوحة : حكمت ، عزت ، رأفت ، عزت ، ولكن هذه التزعة قاربت أن تترك الميدان لآخرى ترمي إلى الإكثار من الأسماء العربية المسيحية واختيارها بما عرفه الشعر العربي أو التاريخ الإسلامي في أيام دولتهما : من ذلك : وائل ، وأمين ، ولؤي ، وأسامة ، وبشر ، وعادت إلى الحياة ليلي وعيلة وبثينة ، مع قيس وعنترة وجميل . وتعمق بعضهم في العروبة فاختر الغريب منها ، كما سمي صاحب لي بنته « شفانة » كنت حاتم الصحابة التي قال النبي عن أبيها « رحم الله أباهما فقد كان يحب مكارم الأخلاق » ،

وقد يسمى بعضهم أبناءه أسماء الخلفاء الراشدين ، أو بابني فاطمة سيدي شباب الجنة : الحسن والحسين ، وأعرف العجاج وقد سمي ابنه رؤبة ، ولم أسمع بعد بالطرماح والشنفرى وأم جحدر .

وتلأل في الوجود في فجر الثورة اسم من أعظم الأسماء ، وأقربها إلى النفوس ، وأدعاهها إلى الإجلال والإكبار ، هو « الفاروق » عرف الناس ذلك الاسم منذ إشراق الدين الإسلامي مثالا للعدل ، ومنازرا للحق ، وحاميا للدين في شخص عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ولعل الملك فؤادا رحمه الله رأى

بثاقب بصره ، وبعد نظره في جلاله مولانا « الفاروق » عند مولده خلفا للفاروق
ابن الخطاب ، فسماه هذا الاسم الكريم . وسرعان ما تهافت الناس على اختياره
وأصبح من أحب الأسماء إلينا . وقد اتبع الملك فؤاد سنة عمل بها من بعده
تلك هي هذه أسماء صاحبات السمو الملكي الأميرات جميعاً بحرف واحد هو
الفاء : فوزية ، فائزة ، فائقة ، فتحية ، فوقية .

وقد غلبت نزعة جديدة على بعض من عرفوا لغات غربية، فرأى أن يتجنب
في أسماء أولاده حروف الحلق ، حتى تنطق حروف الاسم كلها في اللسان
الإنجليزي مثل أمين ، سامي ، كمال ، شريف ، وفرنج بعضهم ما كان معرباً من الأسماء
الغربية ، وأصبحنا نسمع فكتور وماثيوس ، وجون بدلا من بقطرومي وحنان
ولم يقتصر هذا التحول في التسمية على سكان المدن والمتعلمين ، بل تعداهم
إلى سكان الريف وأبناء القرى ، وزاحمت الأسماء الحديثة من رشدي ، وسعيد
ورمزي ، وبثينة ، وفوزية ، وثرثيا ، وأسماء الأولياء والصالحين من : أحمد البدوي
وإبراهيم البدواقي ، وأبي يزيد البسطامي ، وأبي العباس المرسى .
وبعد فما زال كثير من الوالدین يرى من البر بابائه أو أمهاته أن يجعل
أسماءهم ياقية في عقبه فيسمى بعض ولده باسم أبيه أو أمه ولو لم يكن حديثاً
أو خضرياً .

وبعد فعندى الدليل المادى على كل ما ذكرت من المصربين وأسماء بنينهم
وبناهم وأمهاتهم وآبائهم في مختلف مدنهم وأقاليمهم ، فمن أراد برهاناً فليرجع إلى
وعندى المزيد .

عبد الرزاق حميد

أثر محاضرة ألقاها أمير الزمزم في «الاندلس»

الحياة العربية بالاندلس

أسف، عبرة، أمل، الحياة الأدبية، الثقافة العلمية، خاتمة

نسخ الدهر آية الأعراب بين هذى الربا وتلك الهضاب
نبأتني «البرنات» أن ذراها أقمرت من وشائج الأنساب
وغدا مجد «طارق» و«نعمير» بددا بين دارس وخراب
وخبث شعلة «الخلائف» لما وهنت بينهم عسرا الأسباب
وانقضت دولة وطاحت عروش بعظام الملوك والحجائب
وانبرى الغرب يأخذ الشرق بالثأر، يصيب الأذى بغير حساب
وإذا أدبر الزمان وولى أجفل «الصقر» من نقيب الغراب

فاسألوا الغرب أين كانت دعاويه من العدل والحجا والصواب
واسألوه : أين الوفاء لقوم عاشروا الغرب عشرة الأحباب
ورأوه على المشقة داراً تجمع الشمع بعد طول اغتراب
نزلوها فصيروها جنانا في جمال الصبا وعذب الشراب
نشروا العدل والمساواة فيها وأماتوا زعامة الألقاب
أخذوها بالدين والعلم والحلم ، وكف الأذى وفك الرقاب
حيث أضحت لهم مثابة علم تقتفيها الركاب إثر الركاب
قصدها وفودهم تبارى في طلاب العلوم أى طلاب
أعجبهم قرائح الشرق لما أيقنوا أن ذوقه غير ناب
ورأوا فيه مشرعا مستطابا من ثمار العقول والألباب

ثم كانوا على «الرعاة» ذئابا إنما الغدر من طباع الذئاب

تلك والله وصمة في جبين الغرب مقرونة بدم وعاب
فاذكروا ذاك يابني الشرق وابكروا بالدم الطاهر مصرع الانجباب
إنما تنهض الشعوب بذكرى سالف المجد في عصور الشباب

يارعى القصر والرُصافة راع بعد طول الآباد والاحقاب
شهدا المجد حين كانا طريين وكانا سراجا غير خاب
وشدا فيهما الزمان عروس الدهرين اللذات والأتراب
وتغنّت بلابل الأدب الجسم بشعر النهى وشعر التصابي
فالمليح «ابن عبدربه» إن تغنى مازج السحر بالمعاني العذاب
وابن «زيدون» إن ترسل يوما كان حلوا الوداد مر العتاب
و«ابن حمديس» كالمصور، يرمى عن خيال محلق خلاب
و«ابن عمار» لا يرى العيش إلا تحت ظل الشراب والأصحاب
بالصبا بالرُبا «خفاجة» يلهم واصفا، مبدعا، مليء الوطاب
يشبه الطير يألف القطر والفجر، ويهوى نضارة الأعشاب
ويريك الحياة حافلة بالجود واللهم والرضا والغلاب
و«ابن دراج» في الوداع يمنيك بنيل المنى، وقرب الآياب
يؤثر الجزل والغريب ويأبى عند وصل الوغى سوى الأغراب
«كابن هان» وما أرى لابن هان مثيها في النسيب والأطناب
عبرى يكاد يخلق بالشعر خيالا مجسما في إهاب
فهو في الشعر إن يك الشعر وحيا مبلغ الوحي أو رسول الخطاب

وجرت ثورة العقول تباعا فأماطت عنها كثيف الحجاب
من فقيه وكاتب وملم يقنون الحياة في كل باب

فهي أنى استردتها مسرح الجد وملهى الصبا ومسلى المصاب
وتجلى ثقافة « السمر » فى وا ديهو حرة كضوء الشهاب
فاسألوا « الأيضى » المدلّ وقولوا طبعيا ثقفت أم باكتساب ؟
يا لحا الله فى المعالى دَعِيّا ماله يوم يدعى من جواب !
ولحا الله كل باغ على الشر ق ، العريق العلا ، العريف الجنب !
فلك الدهر دائر سوف يطوى الغرب طى السجل صحن الكتاب !
وهل الدهر غير مافيه من خلق وخلق كلاهما فى انقلاب ؟

يا أخى للزمان حسبك ما حاضرتنا تمتعا جزيل ثواب
دبجت « أندلوش » يمنالك فى غير لجاج أو حيرة واضطراب
يراع من الثقافة سمح جائل فى بحورها جواب
فأنتنا فريدة تنهادى فى جلال المشى ويصف الثياب
وهى غريبة كما يدعى الغرب ب سفورا ليست بذات نقاب
وهنا آيات شخصية لاداعى لذكرها .

ويح نفسى لو أن لى صوت « إسحق » وقيثارة الفتى « زرياب »
لتغنيت أو تمنيت ، لكن يا أخى للزمان . هل بك ما بى ؟

فاستفيدوا من علمه وأفيدوا من تُسوكُونَ معشر الطلاب ؟
وأميطوا عن العقول صداها إنا الورد من خلال التراب
إنا أنتم لمهر خلقتم لا لفقر خلقتم أو يباب
لا تغرنكم مظاهر دنيا نحن منها فى حيرة وارتباب
واعلموا أنا الحياة فلاة ضل فيها من يكتفى بالسراب

عبد العزيز محمد خليل

مدرس بمدرسة الحليمة الابتدائية للبنات

ديوانه الاطفال

قطعة تمثيلية

الأشخاص ، ديك ، دجاج ، دودة في جحرها

أحد الديك : قوقو قوقو . قوقو قوقو هيا انتهضوا فالفجر لاح

قوقو قوقو قوقو قوقو واستقبلوا نور الصباح

الدجاج : يا غرة الشرق انزعى عندك سراد البرقع
وأنعشنا والمعنى على جبين المطلع

الديك : إلى اللقاء إلى اللقاء عل ضفاف الجدول

نلقط حبا شائقا من زهره المهدل

الدودة في جحرها : فخي ، فخي ، فخي ، فخي حيث أيها النهار

إذا طلعت يمحي سواد ليل مستعار

الديك مشع النفا : هذا فحيح خافت للدودة في جحرها

لها انسياب صامت يهمني من أمرها

يا ليتني أخذتها وأكثني بلحمها

أو كيف لي أنزعها وهي خلال وجهها

الدودة تغمره تقول هذا اللعين يثني لحيلة دبرها

في نفسها يريد أن يجذعني أواه ! ما أظهرها

قد بدل الطريقا ومال نحو مسكني

أليس ذا خليقا بالكيد إن أبصرني

الديك يغريها الله ما أبهى الضبا وأجمل النساء
بجمال الطبيعة والزهر مال معجبا بنفسه وسيا

والشمس في عليائها تديد جيش السحب
تشرق من سمائها كفضة في ذهب

يا دودة الحجر انظري إلى جمال المرتفع
عليه حب الثمر هيا معا لنرتعي
الدودة في سخرة بوركت شيخ الديكة وسيد الدجاج
فخفرتي مرتبة أصلح فيها حاجي

الديك يلح لا بأس أن تكمشي إلى هنا وترجعي
إن شئت أن تفترشي ريش جناحي فاصنعي
الدودة لا يا عزيزي ليس لي إلى الخروج من يد
فقد جمعت ما كلى قبل انتباه الرقد

الديك يخدعها ليس الحياة حبة تزدردن لها
أو أكلة أو شربة ترين حلوا شربها
الدودة صف لي الحياة إن تكن مجربا خبيرا
فرب ذي الوصف الحسن يفيدني كثيرا

الديك إني أرى الحياة في هو وطيب ما كل
وصحبة الخل الوفي يزينني في المحفل

الدودة صدقت ، لكن أين لي بالصاحب الموفق
والناس أهل عال من فاسد أو متق
الديك لكن وجها مظلما لم أر فيه الشمس

يوهن منك الهما ولا يريح النفس
الدودة إن كان ذا محتقراً فلا عليك ضير
فرب شيء يزدري يكون فيه الخير
الديك مع رفاقه أهلاً بكم:

ياديك قد قنا بشرط الوعد
ما رأيكم؟

اليوم حقاً من نعيم الخلد
أحدمي بالرفقة لقد ظفرت في الضحى بأكلة محمودة
ما هي ، ما تلك التي أكلتها؟

إنني ابتلعت دودة
أهناً بخير نعمة وجدتها،

في ساعة مشهودة
الدودة مدموثة أبعد هذا تدعى ياديك أن تأتلقا
أذهب فمكر المدعى لا بد أن ينكشف

لعيشتي في جحرى مع الحياة كامله
تفضل عيش القصر مع الحياة زائله

أما سمعت المثل للقط صافى الفأرا
وقد أتاه جذلا فاغتاله وفرا

الجميع كم في الحياة من عبر تسوقها الأيام
تكون نوراً للبصر إذا دجا الظلام

عبد العزيز محمد فليل

قصيدة الأستاذ على بك الحارم

احتفلت محطة الاذاعة المصرية بعيد الزفاف الملكي ،
وكان من بين الطالع أن جاء موعد الاحتفال ، ونحن
على وشك الانتهاء من طبع هذا العدد من الصحيفة —
وقد كان في مقدمة شعراء الاحتفال السعيد ، الشاعر
الكبير صاحب العزة الأستاذ على الحارم بك ، وشاعران
ناهين من شعراء دار العلوم هما الأستاذان : فريد
العمروسي ، ومحمود حسن اسماعيل .
وقد آثرنا تسجيل ما جادت به قرائح هؤلاء الشعراء
المجيدين ، مما يعبر عن ولاء أبناء دار العلوم جميعا
لصاحب التاج المقدى — جعل الله كل أيامه على البلاد
أعيادا ومواسم ١١

اقبس النور من شعاع الراح والتم الحُسن في جبين الصُّباح
وابعث اللحن من سمائك ياشع رُ ونافس به ذوات الجناح
وانهب الحُسن من خدود العذارى واسرق السحر من غيرن الملاح
وتنقل بين الخمائل جاذلا ن طليق الهوى جَميم المراح
واسقنا من سلاوك العذب إنا قد سَمْنَا مرارة الأقداح
كَمْ ثَمَلْنَا بِرَشْفَةٍ مِنْكَ ياشع رُ فصرنا روحاً بلا أشباح
ورأينا من الحقائق ما عَزَّ عَلَى كُلِّ بَاحِثٍ كَداح
وقرأنا في كُلِّ شَيْءٍ رُ موزاً فوق طُوقِ اليان والإيضاح
ورسمنا بدائع الكون في لَوْح حِ تعالى عن جفوة الألواح

وَفَهَّمَنَا لُغَى الطَّيُورِ وَأَصْنَعِ نَا لَهْمَسِ الْغُصُونِ فِي الْأَدْوَا حِ
 وَرَأَيْنَا الْبُرُوقَ تَضَحِكُ فِي الرَّوِّ ض فَتَهْفُو لَهَا ثُغُورُ الْأَقَا حِ
 إِيَّاهُ يَاشَعْرُ أَنْتَ سُلُوَايَ فِي الدِّهْنِ يَا إِذَا ضَاقَ بِي فَسَيْحُ الْبِرَاحِ
 كَمْ عَنَاءٍ كَشَفْتَ بَعْدَ نِضَالٍ وَجَبِينَ مَسَحْتَ بَعْدَ كِفَاحٍ !
 لَا تَدْعُنِي يَاشَعْرُ فِي لَيْلَةِ الذِّكْرِ رَى وَأَطْلُقَ إِلَى الْخَيَالِ سَرَاحِ
 غَنَّتِي بِالْمُنَى تَرْفٌ حَنَانًا بَعْدَ نَائٍ وَبَعْدَ طُولِ جَمَاحِ
 غَنَّتِي بِاللِّقَاءِ بَعْدَ شَتَاتٍ وَبِعَطْفِ الزَّمَانِ بَعْدَ شِيَا حِ
 غَنَّتِي بِالرَّيِّعِ يَخْطُرُ فِي الرَّوِّ ض وَيَعْطُو بِمِزْرٍ وَوِشَا حِ
 غَنَّتِي غَنَّتِي فَقَدْ عَيَّ نَائِي وَنَبَا مِزْهَرِي عَنِ الْإِفْصَا حِ
 كَيْفَ تَحْوِي الْأَوْتَارَ مَا يَغْمُرُ الْقَا ب وَيَطْفُو بِهِ مِنَ الْأَفْرَا حِ ؟
 غَنِّ فِي لَيْلَةِ الْبَشَائِرِ يَاشَعْرُ رُ وَغَرْدَ بِصَوْتِكَ الصِّدَا حِ
 وَخُذِ الْفَنِّ مِنْ تَرَائِيمِ إِسْحَا قَ وَبُعْدَ الْمَدَى عَنْ ابْنِ رَبَّاحِ
 وَأَمْلَأِ الْأَفَقَ بِالنَّشِيدِ تُرْدِّدُ رَجْعَ أَنْعَامِهِ جَمِيعُ النُّوَا حِ
 مَا سَتَ الْبَاسِقَاتُ فِي ضَفَّةِ الْوَا دِي وَأَرْخَتِ شُعُورَهَا لِلرِّيَا حِ
 وَرَنَا الزَّهْرَ بِأَسْمَاءٍ يَنْشُرُ النَّوَّ رَ وَيَهْفُو بِشَفْرِهِ الْفَوَا حِ
 أَسْكُرْتَهُ الذِّكْرَى نَاصِغِي وَأَصْنَعِ يَمْلَأُ السَّمْعَ وَهُوَ نَشْوَانُ صَا حِ
 مَالٌ تَيْهًا كَمَا تَمِيلُ الْعَذَارَى هَلْ عَلَى الزَّهْرِ فِي الْهَوَى مِنْ جُنَا حِ ؟

إِنَّ ذِكْرِي الزَّفَافُ أَسْعَدُ ذَكَرِي تَمَلَّأُ النَّفْسُ مِنْ مَنِّ وَارْتِيَا حِ
 سَعَدَتْ مَهْرُ بِالْمَلِكَةِ فِيهِ وَاسْتَنَارَتْ بِنُورِهَا الْوَضَاحِ
 شَرَفٌ بِإِذْخِ يَتِيهِ عَلَى الدُّنَى يَا وَمَجْدٌ مِنَ الصَّمِيمِ الصَّرَاحِ
 نَبَتَتْ فِي مَنَابِتِ أَرْضِهَا الْمَسْ كُ وَفِي ظِلِّ عِزَّةٍ وَسَمَاحِ
 وَبَدَتْ دُرَّةٌ مِنَ النَّبْلِ وَالْمَجْدِ دَفَعَتْ مِنَ الدَّرَارِي الصَّحَاحِ
 فَهَنَاءَ فَارُوقٍ يَا مَوْثِلَ النَّيْلِ لَ وَيَا يَمَنَ نَجْمِهِ اللَّمَّاحِ
 أَنْتَ أَنْهَضْتَ مَهْرَ تَسْتَبِقُ الْخَطَّ وَوَتَمَضَى بِعِزَّةٍ وَطَمَاحِ
 وَبَعَثْتَ الْأَمَالَ فِي كُلِّ قَلْبٍ وَغَرَسْتَ الْإِحْسَانَ فِي كُلِّ رَاحِ
 ذَاكَ سِرِّ الْبَيْتِ الْكَرِيمِ وَفَيْضِ مِنْ عَطَاءِ الْمُهَيْمَنِ الْفَتَّاحِ
 آلَ بَيْتِ الْمَلِكِ الْمُؤْتَلِّ أَنْتُمْ شَرَفٌ مُشْرِقٌ الْأَسَارِيرِ ضَاخِ
 عَجَزَ الشَّعْرُ أَنْ يَنَالَ مَدَاكُمْ وَكَبَتْ دُونَ وَضْفِكُمْ أَمْدَاخِ
 كَتَبَ اللَّهُ فِي الْخُلُودِ عَلَاكُمْ مَا لَمَّا خُطَّ فِي السَّمَاوَاتِ مَاخِ
 جَرَّدَكُمْ أَنْقَذَ الْبِلَادَ وَأَعْلَى رَايَةَ الدِّينِ بِالظُّبَا وَالرَّمَاخِ
 حَكَمَهُ تَأْسَرُ الْقُلُوبُ بِصَفْحِ وَلِبَاءُ يَغْشَى الْوَعْيَ بِصَفَاحِ
 كَمْ تَغْنَى بِفَضْلِهِ كُلِّ مَعْدَى وَسَرَى ذِكْرُهُ بِكُلِّ مَرَاخِ
 عَاشَ فَارُوقٌ وَالْمَلِكَةُ ذُخْرًا وَمَنَارَ النَّهْوِضِ وَالْإِصْلَاحِ
 وَلَتَعِشْ قُرَّةُ الْبَصَائِرِ فَرِيًّا لُ حَيَاةُ النَّفُوسِ وَالْأَرْوَاحِ

على الجارم

قصيدة الأستاذ فايد العمروسي

لمن الأمانى باسمات

شاد يُغرّد ، عبقرى ملهم
ضحك تُغورُ البشر في ألحانه
أيقظت قلبي في سنا أحلامه
لحن كان جلاله من عبقر
لمن الأناشيد الوضاء تزفها
لمن الأغاني راقصات في العلاء
لمن الأمانى باسمات ، يا لها
لمن القلوب تفيض في خفقانها
سل مركب الفاروق ، سل أعلامه
أيقنت أن الكون مسحور النهى
إني سمعت غناه يترنم
فكانه بهوى السرائر أعلم
فصحا على نغم المني يتبسم
أو أنه روح السماء الملهم
وبأى معنى في الوجود تترجم ؟
لمن الجمرع إلى المواكب ترحم
نشرى ، تداعب لحنها وتغنم
وتديع من أسرارها ما تكتم
سل فرحة الأيام عنها تبسم
طرباً ، وأن فؤاده بك مغرم

يا عيد ، أفراح البلاد ترنحت
يوم على الدنيا يترج هامها
خطت بك الأجيال مجداً سامياً
لك في جبين الدهر أنصع غرة
أملأ ، وقاضيت في خطاك الأنعم
يا يوم تاجك في الحياة معظم
ولسوف يخلد في الدهور ويعظم
زهراء ، عبت من سناها الانجم

تَسَابِقُ الْعِزَمَاتِ تَحْتَ لَوَائِهَا وَنَدَاكَ عَنْهَا لَا يَنِي أَوْ يُحْجَمُ
وَطَلَعْتَ فِي الدُّنْيَا بِأَمَالِ الصَّبَا وَالْمَلِكِ ، وَالْعَلِيَا ، وَقَلْبُكَ ضَيِّغُ
تَمْضِي عَلَى ثِقَةٍ ، وَعِزْمَكَ نَابِضُ مُتَقَاتِلِ بَنِيهَا ، مُتَوَسِّمِ
مَوْلَايَ ، إِنْ عَمَّتْ بِشَعْبِكَ نِعْمَةٌ فَلَأَنْتَ مُسْدِيهَا ، وَأَنْتَ الْمُنْعَمِ
مَسَحْتَ يَمِينِكَ كُلَّ جَرَحِ نَازِفِ فَشَدَا بِعُطْفِ يَمِينِكَ الْمَتَلَمِّ
لِلشَّعْبِ فِي التَّارِيخِ أَكْرَمُ عِزَّةٍ وَلَأَنْتَ فِي الدُّنْيَا أَعَزُّ وَأَكْرَمُ

مَالِي وَلِلشُّعْرَاءِ أَدْخَلَ دَارَهُمْ هُمْ طَوَّفُوا فَوْقَ الْخَيَالِ وَحَوَّمُوا
خَطَفُوا مِنَ الْعِلْيَاءِ أَسْمَى مَا بِهَا وَعَنَوْا بِهِ نَحْوَ الْمَلِكِ وَسَلَّمُوا
لَمَّا وَجَدْتَ الرِّيحَ تَقْصُرُ دُونَهُمْ مَنَيْتَ نَفْسِي ، لَيْتَ أَنِّي مِنْهُمْ
وَبَعَثْتُ مِنْ قَلْبِي عُصَاةَ خَفَقَةٍ يَا قَلْبَ حُسْبِكَ فِي حَيَاتِكَ مَغْنَمِ
مُقِلُّ الزَّمَانِ يُطَلِّ مِنْ أَهْدَابِهَا مَجْدٌ رَفِيعٌ بِالْمَكَارِمِ أَفْخَمِ
شَاءَتْ لَهُ الْأَقْدَارُ جُلَّ هَبَاتِهَا سُبْحَانَهُ نَعْمَ الْمَعِزُّ الْمُنْعَمِ
«نَرِيَال» مَا أَبْهَى ضِيَاءَكَ فِي الْوَرَى نَجْوَاكَ بُشْرَى لِلرَّجَاءِ وَبَلَسَمِ
هِيَ نَبْتَةُ الْبَيْتِ الْعَظِيمِ ، وَعُنْصُرُ الْأَ صَلِّ الْكَرِيمِ ، وَعِزَّةٌ تَتَسَمِّمِ
هِيَ بِنْتُ أَمْجَادِ الْمُلُوكِ مَفَاخِرَا شَادُوا صُرُوحَ الْعَالِيَاتِ فَكْرَمُوا
بَسَمَتْ لَكَ الْأَمَالُ فِي فَجْرِ الْمُنَى فَطَلَعْتَ كَالدُّنْيَا تَفِيضُ وَتُنْعَمِ
رَمَقَتْ أَخَاكَ الْأُمْنِيَّاتِ فَأَصْبَحَتْ نَشْرَى بِمَقْدَمِهِ ، وَبَاتَتْ تَحْلُمِ

لَوْ تَعَلَّمَ الْآيَامُ مَشْرِقَ شَمْسِهِ لَخَطَّتْ عَلَى أَفْلَاكِهَا ، لَوْ تَعَلَّمَ !
 هَتَفَتْ بِهِ الْأَحْلَامُ فِي سَبَّحَاتِهَا وَفَمَّ الزَّمَانُ غَدَاً بِهِ يَتَكَلَّمُ
 مَلَأَ الْمَشَاعِرَ أَنْتَ يَا مَنْ تَرْتَجِي يَا مَنْ نَكَّرَ طَيْفَهُ وَنُعْظَمُ
 أَقْسَمْتُ أَنِّي شَاعِرٌ فِي عَيْدِهِ يَزْجِي أَنَا شَيْدَ الْهَوَى وَيُرْتَمُ
 مَوْلَايَ ، نَجْمُكَ فِي سَمَائِكَ صَاعِدٌ أَبَدًا ، وَسَعْدُكَ فِي الْحَيَاةِ مُبِمٌ
 فَتَحَتْ لِمَوْكِبِكَ السَّمَاءَ فَطَفَّ بِهَا لَكَ فِي ذُرَاهَا لِلْأُمَانِ سُلْمُ
 مَوْلَايَ ، مَا خَفَقَتْ قُلُوبٌ فِي الْوَرَى إِلَّا وَأَنْتَ لَهَا الْآجَلُ الْأَعْظَمُ

فأيد العمروسي

نشرنا في العدد الماضي من الصحيفة. نشيدا عسكريا للاستاذ عمران الجمل ، فنسبناه إلى غير ناظمه
 خطأ ، فيسرتنا أن نعود لتصحيح ذلك في هذا العدد ، نؤمن بذلك النشيد :

قصيدة الأستاذ محمود حسن إسماعيل

أنت من يعلى بمهد الشمس صرح النهمات

هات إلهامك هات يامليك المعجزات !
كل يوم لك عرس عبرى في الحياة
هزج الأنفاس ، ضافى البشر ، ضاحى القسمات
ضاحك الغدوة في الآفاق ، طلق الروحات
عبق الأرواح للدنيا ، شذى النسمات
ملا الأفداح للطير بخمر النغات
فاتشى كل رخم بالأغاني الرافصات !
وهفا بالشعر ركب من ظلال الخلدآت :
قد رأينا مركب دلفا روق رفراف السمات
ضوأت بالسحر دنيا على كل الجهات ..
في خميل المرج ، في السنبل ، في نور الرباة
في ضفاف النيل ، في الآواراد ، فوق العذبات
في عشاش الطير ، في الجدول ، فوق الربوات
في حمى الأكواخ ، في الأبراج ، فوق الشرفات
قد شهدنا عرسه يرقص أعياد الحياة

فهجرتنا ماعب الخلد لدنيا البسات

فترنح بالمشاني صادق النيل .. وهات !

أى عيد يامليك النيل أذكى خطراتى ؟

عيد مسراك لمحرا ب الهدى كل صلاة ؟ !

أم ترى عيد الصحارى يوم جست الفلوات ؟

وتركت اليد تشوى من أفويق الهبات !

أم ترى عيد « لفريا ل » حفى البركات ؟

رقق النعمة فى الوا دى لصرعى النابتات

وضفا منه على البأ ساء فى الحسنات !

أم تراه فى غد عيد القلوب الواهات ؟

فى صعيد (١) يرقب البشرى لهيف النظرات

طرب فى الحقل والكو خ شجا ناي الرعاة ..

نورك العالى سيلقى منه طهر السجيدات

ويغاديك بحب مستطار الخفقات

أنت من يغلى بمهد الشمس صرح النهضات

ويرد المجد للتأ ريخ فى وادى الآباء !

(١) إيحاء إلى زيارة جلالة الملك المعظم لوالدى الصعيد .

إيه يامولاي ! واسمع من نشيد الممجات
 حب وادبك ودنيا من عظيم التفديات
 أينما سرت أهاج الحب ظل الخطوات
 عيدك الميمون أسرى بي لنور الذكريات
 حين رقرقت د بعدين الهوى من نغاني
 شرف طار به عشاق شعري ورواتي
 وشأى القرب به فوق الدار الساجات
 ساهز الدهر إغما زأ به طول حياتي !
 وأذيق العصر من كاسي رحيق المعجزات !

محمود مسمة اسماعيل

نحن والعروبة والاسلام

للاستاذ مسنين مسسه محابوف

مهرة الى الأستاذ ساطع بك المصري بالعراق

هنالك في القرى المصرية العريقة في القدم، المنتشرة في سائر وادي النيل، على ضفافه وعلى حفافى ترعه وجداوله، تقيم الكثرة الغالبة من أهل مصر بما لا يقاس بهم في وفرة العدد سكان العواصم الكبرى، حيث تقوم الوراثة والبيئة والعقيدة نامية متغلغلة سليمة من اضطراب الحضارة وتضارب ألوانها — ينشأ الفتيان والفتيات ودمهم يغلى بحب الإسلام ونصرة الإسلام، وأسره الشريعة المنتمية إلى آل الرسول موضع التبجيل والإعزاز، يلتمسون منها البركات وصالح الدعوات، وإذا تزوج بعض أهل القرية من فتيات هذه الأسر عاشرها معاشرة روحية أقرب إلى التوقير والصفاء، وكيف يجرؤ يوما أن يمس أباهما أو أمها بمطعن؛ فيكون خصيما للرسول يوم القيامة، ويحبط أعماله وما قدم لله من صلاة وصيام.

يفرح أهل القرى بالأعياد الإسلامية، ويصعدون إلى المآذن ليالى العيد ليبدأوا ملء أفواههم (الله أكبر). أما الفرح الشامل والحلم العذب الجميل والنفوس المنشرحة المطمئنة فحين يقبل موسم الحج؛ فما أحلى أغاريد الحج، وما أهنأ من يظفر بشربة من زمزم، وما أسعد التوفيق إلى لقاء الرسول؛ فإذا ما عاد الحاج استقبل بالتهليل والتكبير، وتفتحت الأرواح والقلوب إلى لقاءه عسى أن تكتب السعادة لكل من بادر إلى احتضانه كما كتب له، ثم يتحدث ذلك الحاج مزهوا عن البيت الحرام وزمزم والحطيم، وعن قبر الرسول والأنوار الربانية التي تراها العين متلاثة فوق القبر الشريف، ثم يقول الحاج: ما أجمل الإسلام وما أحلاه، وما أبدع يوم عرفة وما أبهأه! لقد اجتمعت الأمم في ذلك المكان، وابتهل الجميع أن ينصر الله الإسلام.

وهكذا درجت قريتنا على إذكاء هذا الشعور وتقديسه من يوم أن وطئت أقدام المسلمين أرضها إلى أبد الآبدين.

وفي قرينتنا (بنى عدى) على حدود الصحراء الغربية كان سيدنا فقيه الكتاب
رحمة الله عليه رجلاً صالحاً تقياً يؤم الناس في الصلاة، ويخطب للجمعة في المسجد،
فإذا حان وقت الصلاة حمل الغلمان جميعاً على الوضوء والصلاة خلفه؛ فمن بادر
إلى ذلك كان أثيراً عنده، وصار في حماية من سوطه، وفي مأمن من عصاه،
وبشره بالفتوح، وأن الله سيكفل له حفظ القرآن جميعه، ثم مايتلو ذلك من طلب
العلم في الأزهر، والسيادة في أهل القرية.

وكان سيدنا سياسياً على قدر ما يدرك مثله، بصيراً بالأحداث التي تشغل
مصر أو الخلافة الإسلامية، فإذا انتصرت دولة الخلافة على أعدائها يدعو
بنصرة السلطان عبد الحميد، وفي كل حادث يصيب مصر أو الخلافة يحجزنا عن
الانصراف إلى بيوتنا، ويأمرنا بالدعاء على أعداء الإسلام بالإهلاك والفناء
ويتلو الفوائح ويقول ونحن نردد قوله:

يا مُرْتَقِباً عَلَيْنَا فَوْضَا الأَمْرِ إِلَيْكَ

ومن بَغَى عَلَيْنَا لَا نَشْكُرُ إِلَّا إِلَيْكَ

وما كنا نعرف من السياسة غير أسماء يرددها سيدنا فإن رضى رضىنا، وإن
سخط سخطنا، وأذكر أن ناعياً نعى له السلطان عبد الحميد فلم يصدق الخبر،
وظل يدعو له بالتأييد بعد ذلك أمداً طويلاً كل جمعة على المنبر حتى استفاض
الخبر، وأيقنت القرية أن السلطان عبد الحميد قد مات، وخلفه السلطان محمد رشاد،
فحزن لذلك سيدنا حزناً شديداً، ووجه الدعاء إلى خلفه.

وسلاح الدعاء في مصر ورفع الأيدي لدحر الظالمين كان أمضى سلاح في
أيدي أهل مصر منذ أمد طويل؛ لأن بطش الحكام في سالف الزمان كان
شديداً جارفاً وإرغاماً الأنوف كان عاماً شاملاً، ولأن الأحداث السياسية
قد توالى مصائبها في القديم فلم يستطع الشعب لها رداً ولا دفعاً، فكان الدعاء
حيلة الضعيف، وملجأ المضطر، وعم ذلك التقليد حتى أصبح طبعاً جارياً وعقيدة
متوارثة، وعلى طول الزمن ظنه الناس أنجح سلاح في شريعة المسلمين وغفلوا
عن قوله تعالى: «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل» نسوا أن عز

الإسلام ركن من أركان الإسلام، وأن الإبقاء على العقائد لأبد له من حراس وحفظة.

وأحسب أن هذا التقليد الخاطئ أخذت تمحوه تجارب العصر الحديث، وأن شباب الإسلام أدركوا بعد أن طحنهم قوى الحياة، وزلزلتهم المصائب أن البقاء للأقوى؛ لينصر الدين ويعلى كلمة الأمة، ويحقق ما تطمح إليه النفوس لتستطيع إبراز الآمال إلى عالم الوجود.

ولا عجب أن يكون سيدنا سياسياً فقد كان أهل قريتنا مشغولين بالسياسة من يوم أن مرت بالبلدة فرقة من جند نابليون يازاء الصحراء الغربية، فخرج إليهم أهل القرية على بكرة أبيهم، وفي أيديهم القنوس والهرات وفروع الأشجار وأقحاف النخيل، وندكوا بجند نابليون شر تكيل، ومن نجا منهم من الموت ولى الأدبار إلى حيث يقيم فياق كبير منهم في طريق أسبوط، ثم عادوا إلى القرية الحاملة بالنصر، المستقلة بالحكرمة، المنشية بعز الإسلام والظفر بالأعداء الهاربين، وطوق الجند القرية بمدافعهم، وأصلوها من أفواها نارا حامية، ناعتصم الناس بالمآذن، وتوسلوا لمقامات الأولياء، وألقوا عليهم ما بأيديهم من أحجار، ووثقوا بما في صدورهم من إيمان، ولكن شواظ المدافع كان أغلب من شواظ الصدور، فانقلبت بهم المآذن على أساسها، وخرت عليهم سقوف المنازل من فوقهم فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون وحلت النكبة، ويتم الأطفال، وأعولت النساء، وسلبت الأموال، ومن بقي منهم سليماً فهو من غار الواقعة نجا، ومن خلال الدروب نفذ.

وعاد الجنود المسلحون متصرين على القرية العزلاء.

ومن ذلك الوقت وبرج بابل لا تنقطع ضوضاؤه، والسياسة المصرية تارة والإسلامية أخرى مدد أي مدد لحديث القرية وأسما الليل.

وكان القدر أراد أن تكون حصة قريتنا من السياسة وافرة كل حين، فربى فيها الشيخ على يوسف صاحب المؤيد عند أخواله من أهل القرية، وحفظ القرآن، وشدا نحوا من الدين والعربية على الشيخ حسن الهواري عالم الصعيد،

ثم تعلم في الأزهـر وصعد نجمه في سماء الشهرة وشيكا، فكان أهل القرية أهله، وعلباؤها إخوانه، يغمرهم بأعداد كثيرة من المؤيد بالمجان فينتقل المؤيد كل يوم من بيت إلى بيت، ويتلى في المجالس حرفا حرفا، وتصبح السياسة شغل القرية الشاغل، كأنهم خلقوا لها وخلقت لهم.

والشيخ على يوسف طيب الله ثراه! كان دمث الأخلاق، برا بأهله ومعارفه، حذبا على أهل مودته، لم تغير عظمته وشهرته شيئا مما جاءت عليه نفسه منذ كان حدثا، فن عرفه من أهل القرية وهو صغير، ثم جاءه وهو من قادة الرأي في مصر، تبسط معه كأنه ساذج مثله، وتحدث إليه حديث الصداقة البريئة، وتلطف معه تلطف من لا يحس تغيرا في مجرى حياته، أو تقديرا للفارق بين محاسب القرية ومجالس الملوك، وكأنه لم يبلغ من السياسة كوكبا، ومن الجاه ماشاء إنسان مخير أن يكون؛ فسياسة الحكومة المصرية، واختلاف الأحزاب المصرية وعرش مصر، والخلافة ومصر والشرق والإسلام، واستامبول والصدر الأعظم، هذه كلها ما كانت تجول فيه خواطر أهل قريتنا من صباح اليوم إلى مساءه، وأذكر أن قلوب أهل القرية كانت تتحرك كل يوم بالفرح أو الحزن في حرب إيطاليا لتركيا في طراباس، وقد قام ذوو الشأن في مصر بدفع الخطر عن هذا البلد المظلوم؛ فإذا ذاع خبر النصر صاحوا بملء أفواههم «نصر الله الإسلام»، وإذا حل المكروه بطراباس وجوا وجوم الحزين. كان هذا المعترك من الأفكار والاصطراع في الآراء يدور حولنا، ويتناثر في أجواء المجالس، ونحن معاشر الأطفال لانمیز غنة من سمينه وخيره من شره إلا بقدر ما تطيق عقولنا، ولا نستطيع أن ندرك إلا الغاية من هذه الأحاديث وهي حب الإسلام والتعاق بمثل أعلى تنتهي إليه آمال المسلمين، وهي عنصر وشيخ الصلة بالعروبة فكنا نشعر أن العرب أهلنا وأبناء عمومتنا من غير أن نمیز هذه الأطياف بعضها من بعض.

أليس محمد رسول الله عربيا؟ أليست أعظم آمالنا في الحياة أن نحج إلى مكة موطن العرب ومبعث الإسلام؟ أليس قد حفظنا في الكتاب أن القرآن

« بلسان عربي مبين » « قرآنا عربيا غير ذي عوج » فقد صارت العروبة والإسلام في نفوسنا فرعى دوحة واحدة، أو جدولين يخرجان من منبع واحد، ثم يلتقيان على ذلك العهد والميثاق، جرت دماؤنا في عروقنا مجرى الأنفاس في صدورنا، فكان طبيعيا أن تتجه مصر إلى الشرق، ويتجه إليها إذ هما الوجهان اللذان يتعارفان حين يلتقي الأخوان ويخلصان .

أما تعارف الوجوه المتناكرة فستفرق بينها المصلحة كما جمعتها المصلحة .
(والشرق شرق والغرب غرب) كما قال كبلنج الشاعر الإنجليزى .

قد تقبس مصر والشرق من أوربا العلوم والمعارف كما اقتبست أوربا من مصر والشرق العلوم والمعارف ، ولكن الأجيال التي ربطت مصر والشرق بأندياء الشرق أولا، وبالإسلام وثانيا، وبالحروب الصليبية ثالثا، وبثقافة علماء بغداد رابعا . كل أولئك دعا إلى اشتباك المصالح وامتزاج العواطف على توالى القرون ، وستعود الآن مريحة العواطف القلبية كما كانت من قبل .

ذلك أمر طبيعي لا تستطيع الدوافع أن تعدده ، ولا نزعات النفوس أن ترده ، وقد تخطى الحواجز جميعا، وصارع عوامل السياسة جميعا .
نعم قد استقلت مصر أحيانا مختلفة في السياسة عن الشرق، ولكن نوع الاستقلال كاختلاف الحواجز بين درب ودرب وقرية وقرية أهلها من دم واحد وآمال واحدة ، وإذا حل مكروه بإحداها تطلعت إلى أختها، وظنت فيها خيرا .

على هذه التيارات الفكرية نشأت القرى المصرية، وتمكن من قلبها الإخلاص لرأيها، والثقة بدينها وعروبته .

أما أنا فقد خرجت من معمعان الكتاب ظافرا بحفظ القرآن الكريم، واستجاب الله في لدعوة سيدنا، فقد كنت ممن يصلى خلفه، ويمسك بعكازه ليقوده من الكتاب إلى البيت ، ويدعو بدعائه إن أملت بالإسلام أحداث الزمان ، ولم ألبث أن رأيت انفسى قبل أن أبلغ الحلم في أحضان السياسة الإسلامية ،

أليس عمى الشيخ محمد حسنين العدوى شيخا للعلماء في معهد طنطا ؟
يحجته المؤيد بالبحان كل يوم ، أليس العلماء يسلمون في منزله ويتبولون يده ،
ويتحدثون إليه عن الخديو ومعهروالاسلام ؟

كنت عند سيدنا أحلم بالسياسة خيالا ، فإذا بي في بيت عمى أراها عيانا ؛
فأنا أفض غلاف المؤيد وأفرقه كل يوم والمؤيد لسان الخدير وظهير الخلافة
الإسلامية ، وملجأ العروبة ، يحرر فيه دعائهم ، ويلجئون إلى ركنه الشديد .
ثم قامت الحرب الكبرى ونهضت على إثرها مصر ، وشغلت مصر بأحداثها ،
والشرق بأحداثه ، ولكن جراح الشرقيين كانت دامية فاتجهوا إلى أمهم
الروم مصر .

ونهلوا من علومها وآدابها ، واتخذوا صحفها كتابا يقرءونه ، وسجلا يقدرونه ،
ويتسمون خطاه ، وإذا بي أستيقظ من نوم طويل في ظلال شجرة التاريخ وأقرأ
في الصحف :

لقد توسطت مصر في حل قضية فلسطين ، ووفود البلاد العربية هرعت
إلى مصر من كل صوب وحذب تستفتيها في مصيرها ؛ ثم لمحت عيني لوحا
من نور توسط بين السماء والأرض مكتوبا فيه : « أبت هذا أول روى
من قبل قد جعلها ربى حقا ، وقد أحسن ربى إذ أخرجنى من السجن وجاء بكم
من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بينى وبين إخوتى » .

حسين مصر مخالف

المدرسة الخديوية

أصحاب الفيل

٣

الفصل الثالث

بقية ما نشر في العددين الماضيين

للمؤلف محمد يوسف المحجوب

المنظر الأول

(الجنود صرعى كالعصف المأكول . جموع العرب من حولها فرحتهملة)
أعرابي (يخاطب رفاته) :-

أَنْظُرُوا الْأَعْدَاءَ فِي الْخُطْبِ الْأَلِيمِ كَيْدُهُمْ ضَلَّ وَلَمْ يَغْنَوْا بِهِ
الْأَبَائِلُ تَهَاوَتْ كَالنَّجْمِ تَحْمِلُ السَّجِّلَ تَرْمِيهِمْ بِهِ
حَطَمْتَهُمْ ، صَيَّرْتَهُمْ كَالرَّمِيمِ لَيْسَ فِيهِمْ هَارِبٌ مِنْ رَبِّهِ
هَلَكُوا ، وَالْبَيْتُ مَرْفُوعٌ عَظِيمٌ مُطْمَئِنِّ ، آمِنٌ فِي سَرِيهِ

هاتف :-

صَانَهُ الرَّحْمَنُ ذُو الْفَضْلِ الْعَمِيمِ لِعَظِيمٍ كَامِنٍ فِي غِيهِ !
الأعراب (ينظرون إلى السماء في دهشة ، مرددين صدى الهاتف) :-

« صَانَهُ الرَّحْمَنُ ذُو الْفَضْلِ الْعَمِيمِ لِعَظِيمٍ كَامِنٍ فِي غِيهِ ! »

أعرابي :-

أَنْقَلَوْا الْبُشْرَى لِعَبْدِ الْمُطَلِّبِ وَأَمَّا تُرَا الْكَوْنِ بِأَلْحَانِ الطَّرَبِ
(يذهب بشير إلى عبد المطالب)

(طبول تدق . الأعراب ينشدون جميعا) : —

يَا كَعْبَةَ فَازَتْ عَلَى الْحُسَّادِ وَصَانَهَا اللَّهُ مِنَ الْأَعَادِ
بُورَكَتْ يَتَا عَالِي الْعِمَادِ أَبَقَى عَلَى الدَّهْرِ مِنَ الْأَطْوَادِ
هَدِيَّةَ الْأَبَاءِ لِلْأَحْفَادِ وَمَوْتِلَ الظُّلَمَاءِ وَالصُّوَادِ
وَمَاتِقَى الْقُصَادِ وَالْوَرَادِ مِنْ حَاضِرَاتِ الْأَرْضِ وَالْبَوَادِ

المنظر الثاني

(عبد المطالب في مجلس قومه . البشراء يتعاقبون) .

البشير : —

سَيِّدَ الْعَرَبِ سَلَامًا يَمْلَأُ الْوَادِ شَذَاهُ
هَلَكَ الْقَوْمُ وَرَاحُوا وَحَمَى الْبَيْتَ الْإِلَهُ
يَسِدَ الْجَبَّارِ طَاحُوا وَجَنَى الْبَاغِي رَدَاهُ

عبد المطالب : —

أَهْ لَوْ كَانَ أَنْتَصَاحُ مَا رَأَوْا رَبًّا سِوَاهُ

أُثِّرُوا الْبُشْرَى فَقَدْ نَجَّى الْإِلَهُ بَيْتَهُ
وَأَنْظُرُوا الْبَاغِي وَمَا لَاقَتْ يَدَاهُ

لَيْتَهُ

أعرابي

ثَانٍ : لَيْتَهُ لَمْ يَعْصَ رَبًّا قَدْ بَرَّاهُ

لَتَبَّ

الجميع

عبد المطلب :

هَيَّا بِنَا : نَطْعُمُ الدُّنْيَا وَمَا وَسَعَتْ وَنَذْبُجُ الْيَمِّ مِنْ شَتَّى الْقَرَايِينِ
حَسْبُ الْقَرَايِينِ أَنَّ اللَّهَ يُخْلِفُهَا وَأَنَّ فَيْضَ نَدَاهُ غَيْرُ مَمْنُونٍ

(ينصرف عبد المطلب ، وينصرف معه القوم)

في المجلس الخالي : أصوات تهتم (غير منظورة) برق يلعب . موسيقات تعزف .
الهواتف منشدة : —

غَرْدَى بِطُيُورٍ فِي ظِلَالِ الْحَرَمِ
أَنْشَدَى لِلْعُصُورِ مِنْ جَمِيلِ النَّعَمِ
غَرْدَى الْأَلْحَانَ تَحْكِيهَا السَّمَاءُ فِي نَجُومِ زَاهِيَاتِ تُشْرِقُ
وَأَبْعَثِي الْبُشْرَى مَائَاً لِلْحَمَى فِي غُيُومِ سَاجِيَاتِ تَبْرِقُ
« موسيقا صامتة تعزف صاعدة هابطة »

الهواتف ثانيا :

يَا أَرْضُ لَا تَعْجَبِي لِلْقَوْمِ قَدْ حَطُّوا
إِنَّ الَّذِي يَخْتَبِي لَدَى غِرِّ أَعْظَمُ

لَيْسَ فِي نَصْرِ الْحَمَى الْغَالِي عَجِيبٌ إِنَّ عِلْمَ اللَّهِ مِنْ فَوْقِ الظُّنُونِ
إِنَّ عِنْدَ اللَّهِ فِي الْغَيْبِ الْقَرِيبِ سَاعَةً تَفْضُلُ آلَافِ السِّنِّينِ
(الموسيقات تعزف . عبد المطلب وقومه مقبلين)

عبد المطلب :

هَيَّا نَعُدُّ لِحَيَّا

أعرابي طَابَ الهَوَى وَالْمَوْضِعُ
ثان: —

مَا أَعَذَبَ اللَّحْنَ هُنَا فِي جَوْهٍ يَرْجِعُ

آخر: —

هَيَّا ادْخُلُوا لَعَنَّا مِنْ سَحَرِهِ نَمْنَعُ

(تحفت الموسيقى. يدخل عبد المطلب وقومه، فتقطع الأصوات، ويسود

الصمت)

أعرابي (ينظر إلى السماء في شغف):

يَا شَوْقَ لِلْحَنِّ : خَبَا وَرَاحَ عَنَّا يَقْطَعُ

ثان (في أسف): —

هَوَاتِفَ الْأَلْحَانِ : لَا تَقْطَعِي عَنْ جَوْنَا الظَّمَانَ الْحَانَا

لَوْ جَالَ بِالْأَذْهَانِ أَنْ تَفْزَعِي كُنَّا اسْتَرْقْنَا السَّمْعَ وَخَدَانَا

عبد المطلب (وقد أخذ مجأه من قومه): —

أَرَأَيْتُمْ ذَلِكَ النَّصْرَ الْعُجَابَا ؟ قَدْ رَجَوْنَا اللَّهَ عَوْنًا فَاسْتَجَابَا

جَلَّ رَبُّ الْبَيْتِ رَبِّي، مَجْدُوا خُشْعًا آلَاءَهُ وَاحْنُوا الرِّقَابَا

وَانْظُرُوا — أَبْنَاءَ قَوْمِي — شَيْعَةً مَلَبُوا الدُّنْيَا ضَجِيحًا وَاصْطَخَابَا

أَقْبِلُوا يَبْغُورِينَ بَيْتًا آمِنًا فِي جُمُوعٍ تَحْسِبُ النَّصْرَ الْحَرَابَا

لَمْ يَرَوْا جُنْدًا يُلَاقِي جَمْعَهُمْ غَيْرَ جُنْدِ اللَّهِ يُصْلِيهِمْ عَذَابَا

فَإِذَا بِالْبَيْتِ مَرْفُوعِ الذَّرَا وَإِذَا بِالْجَيْشِ قَدْ أَضْحَى سَرَابَا

وَإِذَا الْبُشْرَى تَعَالَتْ لِلْسَمَا فَأَعَادَتْهَا غَنَاءٌ مُسْتَطَابَا

قُدْرَةُ اللَّهِ (تَعَالَى جَدُّهُ) أَشْكُرُوهُ ؛ إِنَّ فِي الشُّكْرِ الثَّوَابَ

القوم : -

نَشْكُرُ اللَّهَ عَلَى النِّصْرِ الْمُبِينِ نَحْمَدُ اللَّهَ عَلَى الْبَيْتِ الْأَمِينِ !

(في هذه اللحظة يدخل بشير إلى عبد المطلب)

البشير : -

سَيِّدَ الْعَرَبِ سَلَامًا دُونَهُ الْعَذْبُ النَّمِيرُ

إِنَّ ذَا الْعِزِّ لَعَامٌ تَزْدَهِي فِيهِ الشُّهُورُ

فَزَتْ بِالْأَمْسِ بِمَجْدٍ سَوْفَ تَحْكِيهِ الدُّهُورُ

وَأَهْنَا الْيَوْمَ بِمَجْدٍ ذَكَرَهُ الْمَسْكُ الْعَبِيرُ

وُلِدَ الْيَوْمَ لِعَبْدِ الْأَمِّ مَوْلُودٌ نَضِيرُ

الهواتف منشدة (عبد المطلب وقومه ينظرون إلى غير منظور)

هُوَ ظِلُّ اللَّهِ فِي دُنْيَا مَاهٍ وَالْبَدْرُ النَّمِيرُ

قُرَّةُ الْأَعْيُنِ مَوْلُودٌ بِهِ فَاضَ السُّرُورُ

أَشْرَقَ السَّعْدُ عَلَى مَكَّةَ وَالْخَيْرُ الْغَزِيرُ

وَسَرَى مِنْهَا إِلَى الدُّنْيَا يَهْنِئُهَا الْبَشِيرُ

عبد المطلب (وقد غلبته دموع الفرح) :

أَحْمَدُ اللَّهَ عَلَى الْمَوْلُودِ عُتْوَانَ السَّلَامِ

أَشْكُرُ اللَّهَ عَلَى مَكَّةَ وَالْبَيْتِ الْحَرَامِ

الهواتف :

إِنَّ لِلْمَوْلُودِ وَالْكَلَمِ بَةً فِي الدُّنْيَا لَشَانَا
يَبْسُطُ الْعَدْلَ عَلَى الدُّنْيَا وَيَحْبُوهَا الْأَمَانَا
وَيَرَى فِي الْكَعْبَةِ الْغَمَّ رَأً مَجْدًا لَا يُدَانِي
وَيَرَى النَّاسَ مِنَ الْأَدَمِ يَانِ أَسْمَاهَا مَكَانَا

« إِنَّ لِلْمَوْلُودِ وَالْكَلَمِ بَةً فِي الدُّنْيَا لَشَانَا »

« ستار الحتام »

(حق تمثيلها أو نقلها محفوظ للمؤلف)

محمد يوسف المحجوب

فهرس العدد الثالث من السنة الخامسة

الكاتب	الموضوع	صفحة
التحرير .	مقدمة	٣
للأستاذ أحمد الشايب .	العبارة في الأدب	٧
» عبد الوهاب حمودة .	الأسلوب	١٧
» محمد سعيد العريان .	القصص	٢٨
رأى جماعة دار العلوم .	إعداد المعلم	٤٨
للأستاذ عبد الرازق حميدة .	الشعر القصصى أو شعر الملاحم	٦٠
» عبد اللطيف المغربي .	بين الحقيقة والخيال :	٧٤
» علي النجدي ناصف .	الأدب القومى والدعوة إليه	
» فايد العمروسي .	رحلة إلى الواحات البحرية	٨٥
» سيد قطب .	الحنين قصيدة	٩٧
» عبد العظيم علي قناوى .	حلم النيل قصيدة	٩٩
للمرحوم الأستاذ الشيخ أحمد الإسكندري .	تحقيق وتمحيص	١٠٠
من أدب المرحوم حفي بك ناصف .	افتراح	١٠٦
للأستاذ عبد الرازق حميدة .	للتاريخ الأدبى	١١٨
» عبد العزيز محمد خليل .	أسماءنا فى القرن العشرين	١٢٠
» » » » »	الحياة العربية بالاندلس	١٢٣
لصاحب العزة على الجارم بك .	قطعة تمثيلية للأطفال	١٢٦
للأستاذ فايد العمروسي .	قصيدة عيد الزفاف الملكى	١٢٩
» محمود حسن اسماعيل .	» لمن الأمانى باسمات ؟	١٣٢
» » » » »	» أنت من يعلى بمهد الشمس	١٣٥
» » » » »	صرح النهضات .	
» » » » »	نحن والعروبة والاسلام	١٣٨
» » » » »	أصحاب الفيل	١٤٤